وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحيى فارس بالمدية

كلية الآداب و اللغات

عنوان:

الملامح الملحمية في الشعر الجزائري الحديث واتلمعاصر "إلياذة الجزائر "مفدي زكرياء – أنموذجا-

مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في الأدب العربي تخصص أدب حديث ومعاصر

من إعداد:

- شيخ عبير
- علاق شهرزاد

تحت اشراف الدكتور :

د.أ. محمد بوزواوي

السنة الجامعية: 2023/2022


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

" الحمدالله الذي بنعمته تتم الصالحات "

الحمد الله دائما و أبدا حمدا كثيرا ، الحمد الله على هذه النعمة التي بدأت أحصد ثمارها بعد عدة سنوات من التعب والجهد ، وبعد كل الصعوبات التي واجهتها في هذه المسيرة شكر لكل شخص كان عونا لي .

أهدي ثمرة جهدي إلى من أفضلهما على نفسي إلى بسمة الحياة وسر الوجود ، إلى من كان دعائهما سر نجاحي " **والديا الكريمين** " .

إلى من بوجودهم أكسبت قوة ومحبة لا حدود لها ، وإلى من عرفت معهم معني الحياة " **إخوتي** " .

وإلى من تحلوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء ، وإلى من كانوا معي في طريق النجاح والخير صديقاتي : **رحمة** ، **أمنية** ،**شهرزاد** .

إلى كل من كان لهم أثر على حياتي ، وإلى كل من أحبهم قلبي ونسيهم قلبي .

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

قول تعالى:" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات "

أهدى ثمرة جهدي خلال سنوات دراستي منذ نعومة أظافري إلى هذه اللحظة إلى **الوالدين الكريمين** حفظهما الله .

إلى التي حملتني وهنا على وهن ، إلى من في حضنها الأمان وفي صدرها الحنان ، **أمي الغالية** التي أرى النور بابتسامتها والتي لم تبخل علي يوما بدعائها إلى من حماني ورباني أحسن تربية ، ووقف جنبي طيلة حياتي **والدي العزيز** أطال الله في عمره .

أهدي ثمرة جهدي إلى قرة عيني والشموع التي تنير عائلتي أحبة قلبي ،**إخوتي** و **أخواتي** حفظهم الله ،إلى كل الأصدقاء وإلى رفقاء الدرب ،وأخص بذلك رفيقة دربي **عبير** التي أعانتني وساندتني .

إلى كل من ذكرهم قلبي ونسيهم قلمي و أختصر إهدائي وأقول عملي هذا مهدى إلى من يعرفني .


فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
اهداء	
اهداء	
فهرس المحتويات	
مقدمة	
الفصل الأول : الشعر الجزائري الحديث	
المبحث الأول : مدخل الى الشعر الجزائري الحديث	
1-نشأة الشعر الجزائري	
2-تطور الشعر الجزائري	
3-اتجاهات الشعر الجزائري	
المبحث الثاني : مدخل الى فن الملحمة عند العرب	
1-مدخل "التعريف ، الجنس ، شعر الملحمة "	
2-الملحمة عند العرب	
3-عناصر الملحمة	
الفصل الثاني : فن الملحمة	
المبحث الأول : الملامح الملحمية في إلياذة الجزائر مفدي زكرياء	

فهرس المحتويات

1-الرمز الملحمي	
2-البطولة	
3-العنصر الديني	
4-الموضوعية	
5-الخوارق	
6-أساطير الخرافات	
خاتمة	
قائمة المصادر والمراجع	
قائمة الملاحق	


مقدمة

مقدمة :

يعد الشعر من أهم فنون الأدب العربي ،وهو الجنس الأدبي الأكثر رمزية و إيحاء من بقية الأجناس الأدبية الأخرى ، فهو ديوان العرب وسجل تاريخهم ، والأكثر مساسا بالمتلقي . فقد حضي باهتمام العرب الذين أبدعوا في تشكيله وتلوينه بما يناسب كل عصر من العصور ، وهو من فنون القول التي تضرب بجذورها في عنق التاريخ الإنسانية منذ فجر الحياة ، ولعل أهم شيء يحفظه التاريخ وتمجد من خلاله الأمم هو الحروب والثورات والبطولات ، فهو الغاية في كيان كل أمة تسعى لتحقيقها وتميزها عما سبقتها ، وجميع هذه الحروب والثورات كانت مصدر إلهام للأدباء حيث انعكست في أعمالهم الأدبية . وتعد الملحمة أحسن جنس أدبي يمكن من خلاله حفظ البطولات التي خلدت للأجيال الصاعدة تاريخا عظيما حافلا بالأشعار الثائرة ، والمتتبع لتاريخ الجزائر ومايحمله من صور الثورة التحريرية المجيدة ، حفظت في التاريخ البشري لأكثر من اثنين وستين عاما يجد بأنه يتغني بأمجادها وبطولاتها ،فأرض الجزائر أرض ملاحم نظرا لمكانتها الجغرافية ، ومشاركتها في كونها حضارة إنسانية وإثبات ذلك عبر العصور .

ولعل الشاعر مفدي زكريا يعد نموذجا من الشعراء الجزائريين التي ارتبط به جنس الملحمة في الأدب الجزائري ، لأنه الوحيد الذي كتب في هذا الجنس ، وعبر عن أفكاره وآرائه التي توحي بروحه الوطنية وإنسانية العظيمة من خلال أشعاره وقصائده اللامعة . كيف ولا وقد أرضى ضميره عندما رضت الجزائر ،فهو من خلال إلياذته وعظم بلده .

ومن جمع هذه المعطيات كان عنوان بحثنا موسوم ب : الملامح الملحمية في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر إلياذة الجزائر " لمفدي زكريا"

ويتمثل الهدف من القيام بهذه الدراسة في إبراز ما يتصف به الشعر الجزائري من ملامح ملحمية من خلال كتابه مفدي زكريا الشعر الملحمي ولكن بطريقته الخاصة ، تختلف عن الملامح الأخرى

وتم اختيارنا لهذا الموضوع لقناعات ذاتية عميقة أهمها غيرتنا على الأدب الجزائري الذي يمثل هويتنا الثقافية والحضارية من جهة ، ومن جهة أخرى ضرورة الإشتغال على هذا الأدب لأن هذا الموضوع يعد من الظواهر الشعرية اللافتة للإنتباه في الشعر الجزائري المعاصر على وجه الخصوص .

أ ما شعره الفنية ، ما دفعنا لأن نختص بهذه الدراسة لأجل توسيع دائرة البحث والنظر إلى الشعر الجزائري عامة وشعر مفدي زكريا خاصة ، وكذا اتجاه أغلب الطلبة في دراساتهم للنتاج الروائي وعزوفهم عن الشعر .

أما من ناحية الموضوع فإنه يدخلفي صميم الدراسات ومكانه الشاعر في الساحة الشعرية الجزائرية إضافة إلى تميز مؤلفاته بالملامح الملحمية .

غير أن الموضوع فن الملحمة في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر إلياذة الجزائر لمفدي زكريا كان له دراسات سابقة ، اخترنا نماذج منها :

_ شقراني فتيحة ، المعجم الديني في إلياذة مفدي زكريا ، مذكرة لنيل شهادة الماستر ، تخصص دراسات أدبية ،2015 /2016 ، جامعة تلمسان ،أبي بكر بلقايد .

_ كريمة بن حليمة ، شهرزاد بن خلاط ، البعد الملحمي في شعر صالح خرفي ، "ديوان أطلس المعجزات " ، مذكرة مقدمة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة و الأداب العربي ، تخصص أدب جزائري ،2014 /2015 ، جامعة بجاية .

وللتعرف جيدا على إلياذة الجزائر لمفدي زكريا وجب علينا صرح الإشكالية التالية :

-فيما يتجلى الملامح الملحمية في الشعر الجزائري المعاصر في إلياذة مفدي زكريا ؟

وقد استدعت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية أهمها :

-ماهي التطورات التي طرأت على الشعر الجزائري ؟

-هل إلياذة الجزائر تحوي العناصر الأساسية لفن القصص الشعري ؟

-وهل ترقى أن تصنف ضمن شعر الملاحم ؟

وحتى يتم لنا الإلمام بهذا الموضوع فقد انتهجنا منهجا تحليليا حين حاولنا تحليله وذلك بحثنا عن ملامح الملحمة فيه ، حيث أن بحثنا عبارة دراسة تاريخية جمالية فنية ، محاولة منا استنطاق خصائص وجماليات الإلياذة في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر إضافة إلى الخلفية التاريخية ،لا سميا في نشأة الشعر الجزائري حيث تتبعنا بدايات تطورها الأولى ، وكذا التعرف على أهم الملاحم العربية منها والحديثة .

وقد ارتأينا إلى رسم خطة للبحث تكونت من مقدمة وفصلين " نظري وتطبيقي " .

الفصل الأول وهو الجانب النظري معنون بالشعر الجزائري الحديث ، يحتوي على مبحثين ، الأول بعنوان مدخل إلى الشعر الجزائري الحديث ،تطرقنا في بدايته إلى تعريف بعض المصطلحات . أما المبحث الثاني معنون بمدخل إلى فن الملحمة عن العرب ، احتوى على مدخل تأسيسي نظري يتعلق بالملحمة .

أما الفصل الثاني وهو الجانب التطبيقي جاء بعنوان فن الملحمة في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا ، تعرضنا فيه إلى تمهيد حول إلياذة الجزائر ، وكذا إبراز مجموعة من العناصر : الرمز الملحمي ، البطولة العنصر الديني ، الموضوعية ، الخوارق ، الأساطير والخرافات .

وختمنا البحث بخاتمة وملاحق لمحتويات الدراسة ، مجموعة من المصادر والمراجع التي استفدنا منها في بحثنا هذا أهمها :

_ القرآن الكريم

_ محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية " 1925/ 1975 " _بلحيا الطاهر ، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا .

_نور الهدى لوشن ، وقفة مع الأدب الملحمي .

وغيرها من المراجع التي استفدنا منها أيما استفادة ،علاوة على الإستفادة من بعض المعاجم .

هذا لا يمكننا القول أن البحث خال من المتاعب والصعوبات فهي طبيعية لكل بحث ، ومن بين الصعوبات التي واجهتنا ،قلة المراجع التي خصت الشعر الجزائري بالدراسة ، وكذا نقص بعض الكتب لعدم توفرها بمكتبة الجامعة ، مما حتى علينا الذهاب إلى مكتبة دار الثقافة قصد الحصول على المراجع أخرى تعيننا على إنجاز هذا البحث ، إضافة لاتساع الموضوع وصعوبة حصره وكيفية اختيار العناوين وتنسيقها .

وفي الأخير لايسعنا إلا أن نحمد الله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث ،كما نتوجه بجزيل الشكر لكل من قدم لنا يد المساعدة وعلى رأسهم الأستاذ المشرف " محمد بوزواوي " على كل ماقدمه لنا ، من نصائح وتوجيهات ، وصبره معنا وتواضعه المعهود لإنجاز هذا البحث ،وشكرا للجميع على المساعدة ولو بكلمة أونصيحة .

الفصل الأول :
الشعر الجزائري الحديث

المبحث الأول : مدخل الشعر الجزائري الحديث

1*الشعر:

أ/لغة : العلم [1].

وحسب "أدوين أرلنجتون روبنسون" " الشعر لغة ينبئنا عبر استجابة انفعالية إلى هذا الحد أو ذاك بشيء لا يمكن قوله بطريقة أخرى"[2].

اصطلاحا : كلام موزون قصدا بوزن عربي معروف.

وقال الخليل : هو ما وافق أوزان العرب ، وقال غيره :هو الكلام الموزون المقصود به المرتبط بمعنى وقافية ، ولا يكفي أن يكون الشعر موزون الكلام بل يجب أن يضم معنى متميزا عن معنى العامة .،موافقا للذوق العام [3].

2*الشعر الثوري :

لقد تعددت مفاهيم الثورة ومضامينها و أهدافها ،"فالثورة في الشعر ليست موضوعا بقدر ما هي موقف يقضه الشاعر من مختلف القضايا وطابع خاص يطبع به شعره ، وإن كانت تلك القضايا في مجملها قضايا وطنية ، لكن الفرض الذي يعبر فيه الشاعر عن

---

[1]–د.محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية بيروت ، (لبنان) ، ج2، ط2،1999، ص 550.

[2]–إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية ، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس ،الجمهورية التونسية ، 1986ص216.

[3]–محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، ص 550.

ثورته ليس دائما ما يسمى بغرض الشعر الوطني بل تظهر النزعة الثورية حتى في أغراض أخرى بعيدة في شكلها عن الوطنية ، فالهدف من الشعر الثوري تحفيز النفوس ، وشحن الهمم والدافع بها من أجل التمرد على الأوضاع المختلفة التي تنتقل كل الشعوب فتقف موقفا واحدا لمواجهتها ، ولعل الثورة الجزائرية خير مثال على ذلك ، إذ لعبت الأغاني الشعبية والأناشيد الوطنية دورا كبيرا في تحسين الأبطال والجماهير ، الشعبية وتمجيد قادة وضباط وجنود جيش "التحرير الوطني والرفع من شأنهم [1] .

,لكل فن من الفنون دافع لنشأته، فاللرواية مايميّز نشأتها وللشّعر الجزائري أسباب أدّت لظهوره،فالشعر الجزائري من خلال عنوانه واضح إذ يعبر عن أحداث وقعت في الجزائر وصورة الإستعمار الفرنسي من خلال وعي فني وفكري بدأ بسيطا متواضعا في ثلاثينيات القرن العشرين والظروف التي مرّ بها الشّعراء الجزائريين آنذاك،فهو يصف العلاقة بين فرنسا والجزائر والشّاعر الجزائري من خلال وعيه بالتاريخ

إنّ الفترة الأدبية الأولى التيّ قد ترقى إلى مستوى مفهوم "الأنتيلنجسيا" هي الفترة الزّمنية الواقعة بين سنتي (1920_1956) فقد تأسست في هذه الفترة أحزاب،ومنظّمات وجمعيات ثقافيّة وسياسية،ودينية ونقابيّة ووطنيّة،وهي الفترة التّي

[1]–محمد مرابط سعيدة ،، بن قاقة الياقوت ، الحس الثوري في شعر مفدي زكرياء ، مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة البويرة ، السنة الجامعية 2010–2011،ص 5.

انبعث فيها الشّعر الجزائري الإتّباعي أو العمودي على النّحو الذي بلغ معه المستوى المطلوب لدى بعض الشّعراء,

والهدف من إبداعهم في النّصوص الشّعرية هو تحقيق الإستقلالية من خلال الحالة التي آل إليها الشعب الجزائري،حيث كانت نظرتهم للمحتل الفرنسي نظرة احتقار،فهو الظالم وتتجسّد فيه صورة الدّمار,وبالمقابل كانت صورة الجزائري إلى البطولة الصّابرة المحتسبة ،فالشّعراء كانت إنتاجاتهم حافلة بالموضوعات التي تتّصل بالوطن العربي وقضاياه،فالشّعراء وصفوا صورة المستعمر ووحشيّته وكل وسائل التّعذيب التي استعملت في حق الأبرياء ،من خلال رصد فرنسا لوحشيتها كل الأساليب،فكان الجنود المدجّجون بسلاح الحلف الأطلسي وكانت السّجون والمعتقلات والمحتشدات وكانت مدارس التّعذيب التي خرج منها الفرنسيون عن آدميتهم .

كان للشّعراء إنتاجات شعرية حيث نشرت قصائد بعض الشّعراء التي من خلالها تأسس المعنى الدّقيق للشّعر الجزائري الحديث وهو مايعرف بشّعر الجزائر في عصر النّهضة (أبو القاسم سعد اللّه قصيدته التّاريخيّة "طريقي"في البصائر الثانيّة مارس 1955،ليحذو حذوه أحمد الغوالمي بنشر قصيدته "أنين ورجيع"في شهر أفريل من السّنة نفسها.

المطلب الثاني : تطور الشعر الجزائري الحديث .

لقد مرت الجزائر بمراحل مختلفة وكان الشعر الجزائري يعبر عن هذه المراحل ، حيث شهد اختلافا من مرحلة إلى أخرى حسب التغيرات التي شهدها المجتمع الجزائري ،"ففي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نجد أن الأسعار الجزائرية كانت في شكل البردة والهمزية وعلى روح دينية قانعة بالعيش فالمأساة التي كان يعانيها الشعب الجزائري ."[1]

وكان الشعر هو سلاح الشاعر ولسانه وهو الأداة الوحيدة ولسانه الصادق المعبر عن طموحه وآمال شعبه حيث أصبحت إبداعات الشعراء في نصوصهم الشعرية تصور وتحكي معاناة الشعب الجزائري ، وقهره وكان الشاعر يعبر عما يختلج نفسه من آلام وآمال ،ورجاء تحسن الأوضاع والملحوظ أن قصائدهم امتزجت بصفة واضحة بالتاريخ وهذا دليل على مدى تأثيرهم بالوضع الراهن بالجزائر [2] .

والذي ساهم في ظهور القصيدة الجديدة و أعطى للشاعر الحرية في التعبير عن حالة أو ما يدور في مجتمعه هو الإيقاع التقليدي ، كما أن الحركة الإيقاعية تأثر في القارئ وتجذب انتباهه إلى محاولة فهم السطور الشعرية .

أ/تطور الشعر حسب أبو القاسم سعد الله :

---

[1]–أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب (الجزائر)،ط 5، 2007، ص 33،34.

[2]–ينظر ، عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، دار الجيل (بيروت)ط199،1ص 43.

يعتبر أبو قاسم سعد الله من بين المهتمين الذين حاولوا فهم أسباب تطور الشعر الجزائري وهذا ظاهرة من تخصيصه كتاب دراسات في الشعر الجزائري الحديث ، حيث درس مراحل الشعر الجزائري من خلال عدة تواريخ وعنونها كالآتي :

1-شعر المنابر 1925:

هو شعر منبري لحما ودما ، ذلك أنه أساسه الوعظ والإرشاد وأصباغه دينية يكثر فيها لفظ الإسلام والإصلاح ، كما أن أهدافه إصلاحية ترمي إلى إنماء الوعي الشعبي عن طريق الدين والمبادئ الخلقية ، فالشعراء في هذه الفترة اهتموا بالجانب الديني أكثر حيث كانوا يرددون في نصوصهن الشعرية الوحيدة لتوعية الشعب والدعوة إلى مكارم الأخلاق [1].

2-شعر الأجراس :1925-1936

لقد اكتسب الشعر في هذه الفترة طاقة جديدة وذخيرة تعبيرية لم يجدها منذ حوالي قرن ولذلك راح يدق الأجراس ويطلق الصفارات متمشيا مع التيار الوطني المتدفق من نفسية الشعب ، فتطور الشعر هنا وارتبط بالظروف السياسية في الجزائر ، ففي هذه المرحلة تجاوب الشعر مع الشعب وصور حياته كما هي دون تزويق أو إطراء ومن شعراء هذه المرحلة:

---

[1]-أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب (الجزائر) ،ط 05، 2007،ص 36.

"محمد العبد" ، "أمين عموري "، "جلول البدوي "،، مفدي زكرياء "[1].

3-شعر البناء 1936-1945:

إن الجزائر قد عرفت في هذه المرحلة أكبر الهزات الوطنية والعالمية وكانت لانفعالات نفسية متعددة ، حيث حاول العديد من النقاد والباحثين في دراسة قضايا متنوعة من بينها قضية البناء في القصيدة العربية لما تنطوي عليه من جوانب جمالية يستعملها الشاعر المبدع أثناء غوصه في عوالم الشعر الواسعة ، كما أخذ شعر البناء يواجه العدو بشيء من الصراحة والتسديد [2] .

4-شعر الهدف 1945-1954:

في هذه المرحلة ظهر ما يعرف بالتطور الكفاحي الذي كان يدنوا من الهدف ومن ظهور تلك الرموز التي ظهرت في أفق الجزائر ألحان الحرية والضحايا والاستقلال والعلم الرفراف ، ظهر عدد آخر من الشعراء كان في طليعتهم "الربيع بوشامة" ، "أحمد الغوالمي" ، "الأخضر السائحي" ، كما تنوعت موضوعات الشعر خلال هذه الفترة وكان من بينها قضية فلسطين وأحداث الشرق العربي وغيرها من القضايا الاجتماعية المعاصرة ، كما أن معظم أشعارهم لا تخلو من الأهداف الوطنية والدينية والإصلاحية [3] ، إذا فالشعر الجزائري حسب" أبو القاسم سعد الله" قد مر في تطوره بهذه المراحل التي أدت به إلى

---

[1]-المرجع السابق ، ص 38،39.

[2]-المرجع نفسه ، ص، ص 41، 42.

[3]-المرجع السابق ، ص 43.

اكتشاف روح المعاصرة الشعرية ، حيث إن موضوعات الشعر الجزائري الحديث كانت في الغالب إصلاحية ووطنية والحقيقة أنه قد تناول أيضا الرثاء والمدح والوصف والتهاني والعتاب والحكم كما تغلب على هذا الشعر ظاهرة المناسبة أي أنه كان بعيدا عن الوحي الذاتي إلا في القليل النادر ويكاد يخلوا من الغزل [1] .

المطلب الثالث : اتجاهات الشعر الجزائري الحديث :

أن المتتبع الشعر الجزائري الحديث ، يلحظ عليه أنه لم يغادر ذلك المسار والوجهة التي سار وفقها الشعر الحديث في الأنصار العربية جميعها منذ بداية نهضته الحديثة ، حيث تشكلت اتجاهات الشعر في تيارات أساسية منها :

1-الاتجاه الوجداني :

إن إرهاصات الشعر الوجداني في الشعر الجزائري الحديث تعود إلى مرحلة الحرب العالمية الأولى ، والتي ظهرت انعكاسا للأوضاع الاجتماعية المزرية التي عرفها الشعب الجزائري من جراء قهر الاستعمار وتصنيفه ، والشعر الذاتي الوجداني هنا هو ذلك الشعر

[1]-المرجع نفسه ، ص 48.

الذي يعبر عن الآلام والحرمان من خلال المشاعر الذاتية ، سواء تعلق ذلك بذات الشاعر أو بأسباب الحياة العامة [1].

ويعرف محمد ناصر الرومانسية بأنها قبل أن تكون مذهبا أو فلسفلة هي في الحقيقة الأمر تعبير عن أوضاع اجتماعية معينة وطريقة في التفكير تنبثق في المجتمع بصورة عفوية ويخضع لها الأدباء والشعراء ويتأثرون بها تأثيرا عفويا كغيرهم من الأفراد غير أنهم بحكم حساسيتهم وتفاعلهم مع تصورات الحياة ، يتمثل في مسالكهم وطباعهم وما يصدر عنهم من أقوال و أفعال أكثر ، و أوضح مما تتمثل لدى غيرهم من أبناء المجتمع ، فالرومانسية تهيأت لها النفوس بحكم ملابسات الحياة الخاصة والعامة أو على الأصح تضاريس الحياة التي ترسم للآداب والفنون مسالكهم وتوجيه تياراتهم ، فالرومانسية إذن اتجاه في الحياة ونضره في الفن ، ولم تكن وفقا على فئة أو مجتمع أو عصر أو أمة [2] .

لقد كان للظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية أثر في نشأة الاتجاه الوجداني الرومانسي في الشعر الجزائري ، و أن نشأته هذه هي رد فعل تلقائي من قبل

[1]–الطاهر يحياوي ، تشكلات الشعر الجزائري الحديث ، دار الاوطان ، الجزائر ، ط1، 2013، ص 20.

[2]–محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925–1975، دار المتصدر ، الجزائر ،ط3 ، 2013 ص 87.

الشعراء للتعبير عن مشاعرهم إزاء هذه الظروف ، غير أن هذه الظروف ، غير أن هذه المؤثرات الخارجية لم تكن وحدها لتوجه الشعراء الجزائريين إلى هذا الاتجاه[1] .

إلى جانب المؤثرات السابقة توجد مؤثرات البيئة والنفسية ، حيث كان للبيئة الصحراوية أثرا كبيرا في حب التجديد عند بعض الشعراء الوجدانيين في الجزائر منهم :"محمد الأخضر السائحي" ،"أبو القاسم سعد الله "،" أبو القاسم حمار"،" مفدي زكرياء "، " أحمد سحنون ... .

وأوضح بعض هؤلاء الوجدانيون الأثر المباشر الذي تركته هذه البيئة في نفوسهم ، يقول " محمد الأخضر السائحي " :"فإن لطبيعة الصحراء أثرا كبيرا لأن أكون شاعرا ، فللصحراء قدرة على الإيحاء وهي ذاتها لوحة وقصيدة شعرية ممدودة النغم تشدوا بها الألسنة غير مرئية ، وسكون الصحراء هو الآخر كقطب جذب ، حينما اتجهت نجد أمامك عالما يدفعك لكي تتأمل ، ويذكي فيك حماسا لتصوغ مشاعرك أشعارا" [2]

خلاصة القول

إن الاتجاه الوجداني في الشعر الجزائري الحديث ظهر منذ سنة 1925 بدافع من مؤثرات متداخلة متشابكة ، مؤثرات سياسية ، اقتصادية ، اجتماعية وثقافية ، وبيئية ونفسية .

---

[1]–المرجع نفسه ، 125.

[2]–المرجع نفسه ، 122.

وهو إن ظهر ضعيفا خافتا لاقتصاره على بعض الشعراء القلائل في العشرينيات والثلاثينات ، فغنه ما لبث أن قوي واشتد وانتشر مع ظهور شعرا آخرين في الأربعينيات والخمسينيات وكان هذا الشعر من خلال هذه الفترات كلها استجابة تلقائية للمشاعر التي يشعر بها المثقف الجزائري تحت ضغط واقع سيئ فرضته عوامل مختلفة متعددة ، أبرزها الاستعمار والتخلف [1] .

الإتجاه الإصلاحي :

برز الشعر الإصلاحي الاجتماعي لمواجهة السياسة الاستعمارية ومحاربة بؤر الفساد الاجتماعي ، والعمل على بعث يقظة روحية ودينية ووطنية لمقاومة الفساد والانحطاط ، وذلك فقد ظهر الشعر الاجتماعي الإصلاحي مرتبطا بحركة الوعي والنهضة ، منذ ثلاثينيات القرن الماضي ، فعالج الشعر الإصلاحي قضايا المجتمع المختلفة ، ومنها

[1]–المرجع السابق ، ص 124.

قضايا الاستعمار وقضايا الفقر ، ونوعية الشعب واستنهاضه ، بالدعوة إلى العلو والتعليم . ...

كما عبر هذا الشعر ، عن وضعية المجتمع الجزائري التي تدهورت من جراء الفقر وانتشار الأوبئة [1] .

ويعتبر هذا النوع من الشعر مرتبطا بالحركة الوطنية الإصلاحية التي عرفتها الجزائر في عشرينيات الفرن الماضي والتي قادتها جمعية العلماء الجزائريين .

وقد ارتبط هذا الشعر بالحركة الإصلاحية ، وأصاب الشعر على يد هذه الحركة تطور ملموس ، تجلى في ظهور شعر جديد يختلف كثيرا عن شعرها قبل الحرب العالمية الأولى ، متعددة الأغراض ، يتماشى مع الواقع الاجتماعي ، ويستلهم وجدانه الجماعي ، فكان أن ظهر الشعر الوطني والإصلاحي والاجتماعي والسياسي ، كما تطور من ناحيته الفنية بعض التطور ، فابتعدت القصيدة عن المقدمات التقليدية المتكلفة ، وتخلصت اللغة الشعرية نسبيا من لغة المنظومات العلمية والفقهية [2] .

ونتيجة لهذا التطور الملموس في الشعر ودوره في الحياة الاجتماعية ، برز إلى وجود ما يمكن أن يعتبر أول ديوان شعري جزائري يضم بين دفتيه (شعراء الجزائر في العصر الحاضر) لصاحبه محمد الهادي السنوسي الزاهري (1900-1974) ، وهو يعد بحق

[1]-الطاهر يحياوي ، تشكلات الشعر الجزائري الحديث ، دار الأوطان ، الجزائر ، ط1 ،2013، ص 24،25.

[2]-محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 30.

أول خطوة يدخل بها الشعر الجزائري دور الحداثة ، وقد قدم الديوان إنتاج اثنين وعشرين شاعرا (22) ، يختلف شعرهم عما ألفه الناس ممن سبقوهم مضمونا وشكلا ، بقول محمد العيد آل خليفة مخاطبا مؤلف الكتاب محمد الهادي سنوسي :

قد عرفناك بالجـــــزائر برا يوم أحييت ذكرها الأديبـــا

يوم أحييت شعرها بعد أن لم يكن الشعر في الجزائر شيئا [1] .

إلى هنا نستطيع القول بأن ارتباط الشعر الحديث في الجزائر بالحركة الإصلاحية جاء أمرا طبيعيا ، لأنه كان من أهداف هذه الحركة تشجيع اللغة العربية ونشرها بكل الوسائل ، وخدمة الثقافة العربية الإسلامية وإذاعتها في الأوساط الجزائرية بمختلف الأساليب ، وكان الشعر أحد أدواتها و أساليبها ، ومن ثم تم تأسيس جمعية العلماء سنة 1931 [2] .

الاتجاه الثوري :

بدأ من سنة 1954 فهي السنة التي ارتبطت بالحدث التاريخي البارز في حياة الجزائر ، الذي غير تفكير ونظرة الشعب الجزائري للحياة ، حين اشتغلت الثورة ، وتغنت بالحرية والوطن .

"فشعر هذه الفترة يتميز بالروح الوطنية المشتعلة سواء في تناوله لمواضيع ثورية مباشرة أو مستوحاة من الواقع العربي ، كما يتميز بالحماس الطائر والعاطفة المجنحة ،

[1]–محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 31.

[2]–المرجع نفسه ، ص 32.

ويفتقر إلى الخيال الموحى والتأمل الخلاق [1] ، "ومن هنا فإن الشعر الجزائري ، لم يكن معبرا عن الأحداث بل كان قد لعب دورا في صنعها " [2] .

كانت موضوعات الشعر الثوري إصلاحية ووطنية حيث أن معظم إبداعات الشعراء عكست آمال وآلام الشعب ، هذا ما أورده "عبد الله الركيبي " في قوله : الشعر الجزائري الحديث مرآة صقيلة عكست بصدق وإخلاص عواطف الشعب الجزائري وانفعالاته فهو شعر الشعب "[3] .

إن الثورة فتحت أبواب جديدة في الشعر الجزائري ، كما ولدت أسماء شعرية جديدة أمثال مفدي زكريا ، محمد العيد آل خليفة ، محمد صالح باوية ، أحمد البياتي ، صالح خرفي ، أبو القاسم خمار وغيرهم من الشعراء السابقين . "[4] .

ويتضح من خلال هذا أن الشعر الثوري لا يمكن اعتباره مرحلة مستقلة عن باقي المراحل ، لكونه حلقة في سلسلة الشعر الجزائري حيث كتب فيه رواد الشعر الإصلاحي ، التقليدي والشعر الوجداني فلم يكن حكرا على طائفة معينة من الشعراء ، كما أن أسلوبه

---

[1]–أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط 5 ، 2007، ص 46.

[2]–الطاهر يحياوي ، تشكلات الشعر الجزائري الحديث (من الثورة إلى ما بعد الاستقلال) ، دار الأوطان ، الجزائر ، ط1، 2013 ، ص 28.

[3]–عبد الله ركيبي ، دراسات في الشعر الجزائري ، الدار القومية للطباعة والنشر ، دط ، د ت ، ص 08.

[4]–المرجع السابق ، تشكلات الشعر الجزائري الحديث ، ص 34.

لم يختلف عن القصيدة التقليدية إلا في القاموس اللغوي والموضوعات ، أما البناء العام من إيقاع واحترام لعمود الشعر فقد ظل قائما ، لذا لا يمكن ملاحظة تصور أسلوبي واضح المعالم في هذه الفترة إلا على مستوى المعجم الشعري الذي ظهرت عليه بعض الحقول الجديدة .

ومن نماذج الاتجاه "مفدي زكرياء" يقول :

قام يختالُ كالمسيح وئيداً يتهادَى نشْوانَ يتلوا النشيداَ

باسم الثغر كالملائكة أو كالطّ فلِ يستقبل الصَّباح الجديدا [1] .

يظهر من خلال البيتين قوة الألفاظ وحضور المعجم الثوري ومن ألفاظه المسيح ، النشيد وهذا قدم للنص قوة في التأثير على المتلقي ، كما يظهر شجاعة المناضل الجزائري وهو يواجه الموت .

ونجد لهذه القوة حضورا كبيرا في قصيدة "الإنسان الكبير " " لمحمد الصالح باوية " التي عالجت قضية الثورة :

يا زغاريد اعصفي

يا هتافات اقصفي

مزقي طيف الحدود اللاهثات .

[1]–مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1983، 9.

طوقي بالأفق

طيري

حطمي جلد الطغاة ، لمرهق [1] .

وفي قصيدة سلاحنا وسلاحهم يتحدث الشاعر "صالح خرفي" عن فرنسا ونضال الجزائر :

مُلأت الأرض والأجواء حديدا فكان العزم أقوى من حديد

فلسنا في الوعي جددا فتثنى عزائمنا أساطيل الجنود

ولا عشاق دينار فتلوى أغنتنا بوارق من وعود

ولكن عيشة الأحرار ينبغي ودون بلوغها نيل الخلود

رخفنا كالآتي فكنت سدا سلي خبر الآتي مع الدود [2] .

وفي ملحمة طويلة يتحدث الشاعر "أبو القاسم خمار " عن الشعب الجزائري مستعرضا كفاح المغرب العربي عنوان هذا الشعر " ظلال و وأصداء " :

تارة في ثورة إذا قيس بركان بهزات نارها كان يسـرا

[1]–أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، ط5 ، 2007 ، ص 46.

[2]–المرجع نفسه .

ثورة تحمل الإبادة للـــــبؤس وللعدل والسيادة بشرى [1] .

أما الشاعر عبد الله الزناقي فيقول عن الثورة :

في كل ثورة للنـــــار في أرضنا كالرعد كالإعصار

في كل يوم ثورة وقـادة ترمي الطغاة بأسهم من نــار [2] .

هذه بعض النماذج التي توضح لنا أن الشعر الجزائري الثوري عاش الثورة بمختلف مراحلها وقضاياها وأفراحها وأحزانها ، فهي كانت واقعا والجزائريين تجاوبوا مع هذا الواقع

.المبحث الثاني :الملحمة في الشعر العربي الحديث والمعاصر

مدخل : الملحمة (التعريف ، لغة ، اصطلاحا ، جنس الملحمة ، الشعر الملحمي) .

1-تعريف الملحمة :

إن الحديث عن الملحمة يتطلب منا الغوص في حقب التاريخ وقلب صفحاته لإيجاد تعريف كافيا له ، ومع ذلك فلا تزال كلمة "**ملحمة**" غامضة في كثير من الأذهان [3] .

فكأنه من الصعب تعريف الملحمة تعريف حقيقي جامعا مانعا والأكثر صعوبة من ذلك هو محاولة تصنيف الملاحم تصنيفا قاطعا في فئات متمايزة حسب الموضوع ، ولذا فإن الباحثين يكتفون بالتمييز بين الملاحم الشفوية والملاحم المكتوبة أو الأدبية [1] .

---

[1]-المرجع نفسه .

[2]-المرجع نفسه .

[3]-أحمد أبو زيد ، الملاحم كتاريخ وثقافة مثال من الهند –الرمايانا ، مجلة عالم الفكر ، ص 1.

لكن رغم صعوبة الجزم في هذا الشأن يمكننا القول :"أن الملحمة قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة التي تنبئهم منزلة الخلود بين بني وطنهم ، ويلعب الخيال فيها دورا كبيرا ، إذ تحكى على شكل معجزات ما قام به هؤلاء الأبطال ، وما به تسمو على الناس ، وعنصر القصة واضح في الملحمة ، فالحوادث تتوالى متماشيا مع التطورات النفسية التي يستلزمها تسلسل الأحداث [2] .

وصحيح أن الرأي السائد هو أن الكلمة تشير الى القصيدة القصصية الطويلة التي تسجل الأعمال البطولية الخارجية ، إلا أننا نجد ميلا واضحا في بعض الكتابات الحديثة إلى إطلاق "ملحمية" على بعض الأعمال الروائية الكبرى مثل رواية تولستوي "الحرب والسلام"[3] .أ/ **لغة :**

الملحمة ، هي الحرب ذات القتل الشديد والوقعة في الفتنة ، وهي من اللحم والالتحام لكثرة لحوم القتلى فيها واشتباك الناس واختلاطهم وما ينتج عن ذلك من تغير الأحوال وسيادة الفوضى ، وقد روي عن النبي (ص) قوله :"عمران بيت المقدس خراب يثرب ، خروج الملحمة ، وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ، وفتح قسطنطينية خروج الدجال " ، وقد استعملت هنا في معنى الفتنة التي تفضي إلى أحداث جسام وانقلاب في شؤون الحياة.

---

[1]–المرجع نفسه ، ص 13.

[2]–محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1997، ص 90.

[3]–أحمد أبو زيد ، الملاحم كتاريخ وثقافة مثال من الهند–الرمايانا–ص12.

كما وردت عند أبي حيان التوحيدي في معنى المناظرة الفنية والمجادلة والمناقضة ، حيث يقص الكاتب لأحد الوزراء حديث المناقشة التي جرت بينه وبين أبي عبيد الكاتب في تفضيل الحساب على الإنسان ، فيقول الوزير فيها :"هذه ملحمة منكرة" ، أي مناقشة مستهجنة غير معقولة أو مقبولة [1] .

ب/ اصطلاحا

الملحمة هي جنس أدبي ذو مكانة لدى الأمم القديمة ، ولاسيما عند الإغريق ، وكانت الملحمة قصيدة تمتاز بالروح القصصية الحماسية طويلة النفس ، معروفة بأسلوب راقي يعتمد على الجزالة وتتضمن أفعالا بطولة عجيبة ، وتقص الألباب ، وحياته محور هذه الملحمة لكن تتخللها أقاصيص متفرقة ، و أخبار متنوعة ، يستطرد بها الشاعر عامدا أحيانا ومصرا أحيانا ، وتمثل الملاحم عادة المثل العليا لأمة من الأمم ، مرتبطة بالتاريخ والأسطورة ، والعقيدة والخيال ، ولهذا عدت الملحمة أدب الشعوب التي مرت بمرحلتها الفطرية وكان لها إنتاج فني [2] .

وتتمتع الملحمة بقوة إيحائية كبيرة تتأسس على مخيلة إغرابية تتمظهر في قصيدة سردية تسهر في خلق عالم مغاير للعالم المألوف من حيث السعة والغرابة ، قادر على إخراج المتلقي من العالم الواقعي الى عالم جديد خيالي ، وأكثر ما تزدهر الملحمة في

[1]–د.حسام الضيقة ، مجلة المنهاج ، 17 ديسمبر 2015 ، ص 217.

[2]–د.محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ، بيروت (لبنان) ، ج 2 ، ط2 ، 1999، ص 823.

المجتمعات التي تتأثر شعوبها بالأساطير والأخيلة ، ويفترض فيها تقادم الزمن على مضمون حكايتها لتيسير تحليتها بالإعجاز والإغراب فيزخرفها القدم ويضفي عليها جوا من السحر العجيب ويؤدي الملحمة وظيفتها في مساعدة الشعوب على تثبيت أوهامها وتخيلاتها ، وترسخ الأحداث الفاصلة في تاريخها ، وتخليد ذكرى الرجال الذين كان لهم الفضل في منطلقاتها وبذلك فهي تعمل على ربط الحاضر بالماضي ، وتعين على يقظة الوعي في الجماعات ، وعلى تقوية إحساسها بالديمومة زمنيا ومكانيا [1] .

2- الشعر الملحمي

شعر قصصي يتناول بأسلوب روائي موضوع البطولة وسير الأبطال سواء أن كانت بطولة سلام ، ويغلب عليها الطابع الأسطوري لإرتباطه بفجر تاريخ الشعوب وهو يتناول تراثا هاما يهتد به الناس ويثير حماسهم بأسلوبه الضخم ، فهو بأسلوبه وموضوعه صالح للإنشاد قوي التأثير للنفوس محرك للعواطف يملك على الناس حواسهم حين يستمعون إليه[2] .

ويطلق على الشعر الملحمي باللغة الانجليزية عبارة EPIC POETRY وكلمة EPIC مشتقة من كلمة EPOS اليونانية ، ومعناها (كلام) أو (حكاية)[3] .

---

[1]-عبد النور جبور ، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ، ط1 ، 1979،ص 273.

[2]محمد السلام كفافي ، في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1972،ص 125،124.

[3]-المرجع نفسه ، ص 123.

3-الملحمة جنس أدبي :

مما لا شك أن الملحمة جنس أدبي قائم بذاته ، له مقوماته وخصائصه على مر التاريخ

إن "الملحمة من حيث أنها جنس أدبي هي قصة بطولية تحكي شعرا تحتوي على أفعال عجيبة ، أي على حوادث خارقة للعادة ، وفيها يتجاوز الوصف مع الحوار ، وصور الشخصيات والخطب "[1] .

وحسب الفيلسوف أريسطو ، فإن الملحمة قديما عبارة عن منظومة قصصية طويلة ، تعالج بطولات قومية وتتضمن أحداث يمتزج فيها الخيال بالحقيقة .

وتتميز شخصيات الملحمة بقوتها الفائقة سواءا من الناحية الفيزيائية أو المعنوية إلى الحد الذي يجعل منهم أبطال إعجازيين قادرين على منازلة الآلهة نفسها "[2] .

---

[1]-محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 9، أكتوبر 2008م ، ص 122.

[2]-ينظر ، كتاب أرسطو ، فن الشعر ، ترجمة وتقديم وتعليق ،د.ابراهيم حمادة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ص 60.

وتنعكس في الملحمة حضارة أمنها في فترة تاريخية قديمة ، بما في ذلك حروبها وتقاليدها ، وأخلاقياتها ومشاكلها ، ومعتقداتها الخاصة بالقوى الطبيعية وغير الطبيعية والمعجزات والخوارق التي لم يألفها المنطق .

ومساحة الملحمة بهذا عريضة معقدة ، ذات مناخ تراجيدي ، كما تتميز بأسلوب شعري فخم

، وخيال خصب ، وقدرة على خلق عالم آخر متكامل "[1] .

1-الملاحم العربية :

أ/ في القديم :

مما لا شك فيه أن كلمة ملحمة قد تغيرت دلالتها المعجمية من عصر آخر ، فقبل عصرنا الحاضر نجد أن كلمة "ملحمة" لفظة عربية قديمة كانت تعني موقعة حربية تلتحم فيها الجيوش ، أو يتناثر فيها اللحن ، كما يفهم من المعاجم اللغوية ، لكنها ذلك النوع الأدبي الذي عرف عند الغربيين باسم EPIC أو ما يقابله في مختلف اللغات الأوروبية[2] . فشعر الملاحم يتعلق بسير الأبطال والحروب ، وذكر الوقائع الحربية و إن بطولة

[1]-المرجع نفسه ، ص 60.

[2]- محمد عبد السلام كفافي ، في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1972،ص 124.

الميدان هي الموضوع الغالب على هذا الشعر ، ولهذا اختلط مفهومه عند البعض بمفهوم الشعر الحماسي عند العرب [1] .

ولما كانت الملاحم القديمة قد ظهرت في أزمة سابقة على التاريخ المسجل فقد أحاط بظهورها وتطورها كثير من الغموض[2] .

قلنا إن الشعر الملحمي مرابط بتراث الأمم ، يروي أمجادها وما جرى على أيدي أبطالها من بطولات ، وما حملته ذاكرة الشعوب من قصص ترتبط بها عواطفها ، فتلتهب حماسا باستماعها إليه وبخاصة حين يسوغه شاعر مقتدر بأسلوب فخم ، ووزن ملائم لهذا الشعر الحماسي [3] .

شعراء العرب كانوا في الجاهلية ينظمون أروع الشعر العربي في حين أن الكتابة كانت قليلة الانتشار في جزيرة العرب ، ومن المحقق أن العرب في جاهليتهم لم ينتجوا كتابا واحدا برغم الكثير من الشعر الذي أثر عنهم ، وقد سجل الشعر الجاهلي –حينما جاء عصر التسجيل ، وهو العصر العباسي الأول ، وسميت مجموعة شعر الشاعر ديوانا لما كان في ذلك من التسجيل والجمع [4] .

---

[1]–المرجع نفسه ،ص 124.

[2]– المرجع نفسه ،ص 127.

[3]– المرجع نفسه ،ص 126.

[4]– محمد عبدالسلام كفافي ، في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي ، ص127.

غير أن الشعر الحماسي غرضه الأساسي وصف البطولة ، والوقائع الحربية ، وإلهابالمشاعر في الإقدام والشجاعة ، كما أن وصف المعارك والفرسان ، وهزيمة الأعداء من أغراض شعر الحماسة .

و إن كثيرا من شعر عنترة ، و أبي تمام والمتنبي و أبي فراس شعر حماسي ، ويعد مفخرة في الأدب العربي [1] .

وقد وضع النقاد مقاييس للشعر بعد استقراء أفضل دواوين الشعراء كامرئ القيس ، جرير ، والفرزدق ، أبو تمام ... ووصلوا الى أن الشعر الجيد هو أن يتصف صاحبه بالملكة ، والأصالة ، والإبداع والسيرورة ، واختيار الموضوع ، وإصابة التشبيه وكلها تقاليد للشعر العربي القديم على الشاعر أن يتبعها إذا أراد لنفسه بلوغ مرحلة الفحولة [2] .

فكر من ملاحم ظهرت في العصر الحديث ثم لم تلبث إلا قليلا حتى طواها النسيان أمام الملاحم القديمة فقد احتفظت برونقها خلال العصور ، ولا تزال الى اليوم تقرأ بشغف و إعجاب [3] .

مما سبق نجد العديد من الملامح الشعر الملحمي عند كل من الشاعر أبي تمام والمتنبي

أ/ شعر ذو ملامح ملحمية في شعر ابي تمام :

---

[1]– د.محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية ، بيروت (لبنان) ، ج 2 ، ط2 ، 1999، ص555.

[2]–المرجع نفسه ، ص 718.

[3]–في الأدب المقارن ، ص 123.

هو نجيب بن أوس الطائي ولد سنة 190هفي إحدى القرى القريبة من دمشق في بلاد الشام ، ورحل إلى مصر ، استقدمه المعتصم إلى بغداد وقدمه على شعراء عصره ، فخالط الأدباء والشعراء والعلماء وأقبل على معارف العصر فكان من أكثر الشعراء حفظا للشعر العربي ، من صفاته أنه كان أسمر طويلا ، فصيحا حلو الكلام كريم الطبع ، قوي الذاكرة توفي سنة 231هـ [1].

لقد ضم الشعر العباسي قصائدا يتجلى فيها الشعر الملحمي روعة وجلالا . ولعل من بين هذه القصائد قصيدة فاتح عمورية والتي يقول في مطلعها

السيفُ أصدقُ إنباء من الكتب في حدّه الحد بين الجدّ واللعـــب

بيضّ الصفائح لاسود الصّحائف في متونهنّ جلاءُ الشّكُّ والرّيب [2].

إلى أن يقول :

والعلم في شُهبُ الأرماح لامعة بين الخميسين لافي السبعة الشُهب [3].

فتحُ الفتوح تعالى أن يحيط بـه نضم من الشّعر أو النثر من الخُطب

فتح تفتح أبواب السماء لـــــه وتبرزً الأرض في أثوابها القَشُـــبَ

---

[1] الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام ، دار الكتاب العربي ، الجزء الأول ، ط1(بيروت) ، 1994م، ص5

[2] المرجع نفسه ص32

[3] المرجع نفسه 33

يا يوم وقعة عمورية انصرفتْ منكَ المنى حُفَّلا معسولة الحلب. [1]

عرفت قصيدة أبي تمام (فتح عمورية أو إنباء أبي تمام) ، أو كانت تعرف بمطلعها : (السيفُ أصدقإنباء من الكتب) ، وقد ذكر أن قائد الروم اعتدى على بعض المدن الإسلامية ، وفتَّك بالناس ومثّل بهم ، الأمر الذي أثار الخليفة المعتصم فأعدَّ جيشا كامل العدة ليشارك في فتح البلاد فما كان إلا وأن انتصرعلى جيش الروم واقتحم عمورية التي كانت أمنع بلاد الروم وأحصنها التي لم يتسن لأحد من المسلمين دخولها قبل المعتصم . [2]

من خلال الأبيات السابقة تحدث عن البطولة وهو يمدح المعتصم بالله أبا إسحاق محمد ابن هارون الرشيد ، حيث وصف الشاعر شجاعة المعتصم ، وتصوير ما جرى في المعركة حيث سير جيشا عظيما إلى عمورية ، وأحرقها بعد أن دمر الروم (زبطرة)[3]

نحا أبو تمام في شعره مناح جديدة ظهرت في دقة المعاني والغوص في الأفكار متأثرابما رفده عقله من علوم الفلسفة وأولع بالبديع وتفنن فيه وأكثر من الاستعارات

---

[1] المرجع نفسه 35.

[2] – اللغة العربية الأدب والبلاغة خاص بالفرعين : الأدبي والشرعي ، الطبعة الأولى 2020 ، (فلسطين)، ص 4.

[3] المرجع نفسه ص4.

الجديدة ، كيف لا وقد لبى المعتصم بالله من خلاله نداء تلك المرأة التي صرخت (وامعتصماه)والتي استنجدت به بعدما اعتدوا عليها . [1]

من خلال ما سبق نستنتج أن أبو تمام نجح إلى حد بعيد في رسم هذا الحدث العظيم في تاريخ العرب المسلمين ، فكانت قصيدته في مستوى الحدث ملحمة من ملامح العرب . فنصه مثل شعر الحماسة بوضوح تصوير المعركة وما حل من تدمير ونقل نتائجها حيث رسم لوحة تجلت فيها بطولة المعتصم في جو حماسي بطولي ، حيث سَّير الجيش ، ولم يلتفت لما قاله المنجمون من أن الهزيمة محققة فجاءت العركة لتكذب المنجمين ويكون الحسم فيها للسيف [2].

فالقصيدة من ملاحم العرب اصطبغت بخصائص ومميزات فنية تمثل البطولة والشجاعة والحدث العظيم الذي كان بين العرب المسلمين ، وأعداء الإسلام والتي برع فيها أبو تمام في الوصف وكانت أوصافه للمعارك الحربية سجلا حافلا تاريخيا صادقا ، صورها تصويرا دقيقا ومن أهم مآثره التي وصلت إلينا ديوانه الشعري وكتاب الحماسة ، ولهذا حفلت القصيدة لألفاظ الملاحم وبطولاتها من ذلك : (السيف ، الصفائح ، فتح ، فتوح ، أبواب ، السماء ...)فهذه الكلمات لها دلالات عميقة في وصف وسرد الأحداث مما أمدها بروح ملحمية عربية الدافع الذي أدى بالشاعر إلى نظم هذه القصيدة التي أصبحت أنشودة تترنم بها الأجيال.

---

[1] المرجع نفسه ص4 .

[2] بتصرف ، اللغة العربية الأدب والبلاغة خاص بالفرعيين الأدبي والشرعي ، ص5.

ب/ شعر ذو ملامح ملحمية في شعر المتنبي :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي ، ولد سنة (910-960م) (203-304هـ)بالكوفة ، وقد سمي بالمتنبي لأنه ادّعى النُّبوة في بادية السماوة من أعمال الكوفة [1].

اشتهر بقوة الذاكرة ، وشدّ الذّكاء والنّباهة والجدّ في النظر إلى الحياة والمقدرة على نظم الشعر ، وكان حافظا لكثير من فصيح اللغة وغريبها من الأشعار الجاهلية ، طاف الشاعر بلاد الشام على أن استقر عند سيف الدولة الحمداني ، بعد أن قدمه أبو العشائر وكان الحمداني عربيا محبا للأدب نال الشاعر لديه خطوة كبيرة وصحبته في بعض غزواته وحملاته على الروم ، وقد لاقت نفسيته أحسن ملائمة مع نفسه الأمير سيف الدولة فكانت تلك القترة أفضل فترة في حياة المتبني . [2]

وعلى ذكر سيف الدولة الحمداني الذي انتصر في معركة الحدث على الروم فقال المتنبي في هذا الحديث العظيم :

---

[1] المتنبي ، الديوان , دار بيروت للطباعة والنشر ، و، ط، 1983م ، ص5.

[2] أسماء شمس الدين . محاضرة في شعر المتبني ، الأدب العربي في عصر الدويلات والإمارات ، مارس 2020، ص1

عَلَى قَدرْ اَهل العْزمِ تأتي المَكَارمُ وتأْتِي على قَدْرِ الكِرَام المَكَارِمُ

وتَعْظُمُ في عين الصَّغِير صِغارها وتصْغر في عين العَظيم العظَائِم .[1]

قصيدة (على قدر أهل العزم) تمثل واحدة من القصائد النضج الفني في تاريخ المتّبني الشِّعري ، حيث بدا متمكنا من أدواته الشعرية ، هي في الوقت ذاته تكشف عن روح الشاعر وطموحاته السياسية ، وتَعبِر عن عظمته التي رأى صورتها المتحققة في الممدوح بعد أن لم يحالفه الحظ في تحقيق ما تصبو إليه نفسه الأبية وإجمالا فالقصيدة زاخرة بقيم شعرية عالية المستوى تشكلت عبر صيغ متعددة ، وأساليب تفيض بإمكانات مبدعها الذي توفرت له كل أسباب التفرد والإبداع .[2]

ويقول في وصف بطولة وشجاعة سيف الدولة الحمداني :

وَقَفْتُ وَمَا في المَوْتُ شَكُ لواقِفْ كأَنّكَّ في جَفْنْ الرّدَى وهُوَ نَائِم

تَمُربك الأبْطَالْ كَلْمى هَزِيمة وَوَجْهكَ وَضَاحٌ وثغرك باسمْ

[1] المرجع السابق ، ص385.

[2] المرجع السابق .ص4.

تَجَاوَزَتْ مِقْدَارْ الشّجَاعة والنَّهى إلى قَول قَوْمْ أنْتَ بالغَيْبْ عالِمْ .[1]

هكذا كان المتنبي يوقع قصائده ، في وصف البطولات وتصوير الأحداث

لسيف الدولة الحمداني ، كيف ولا هو يصف عزيمة الرجل على مقداره ، وكذلك مكارمه ، وسيف الدولة في نظر المتبني يعد بطلا شجاعا ، وفارسا عظيما يضع مجده بيده ولا يرثه على آبائه وأجداده ، وأثبت المتبني قراءة التفوق البطوليلسيف الدولة عبر عدد من المشاهد التصويرية : (وَقَفَتْ وَمَا فِي المَوْتِ ....تَمُرُ بِكَ الأبطال .... تَجَاوَزتْ مِقْدَارْ الشَّجاعَةُ...) ووصفهوهو يحارب في المعركة كيف ولا هو يمثل البَّطل القائد للمعركة سيف الدولة كأنه في جفن الموت ، لكن الموت في حالة نوم ولهذا غفل عنه .[2]

إنَّ هذه الصورة الشّعرية التي تمثل البطولة من أروع ما ضربنا في الشعر العربي قديمه وحديثه ، وقصيدة (على قدر أهل العزم) من أعظم قصائد المتنبي التي قالها وهو بحضرة سيف الدولة والتي تتكون من ستة وأربعين بيتا ، تطرق فيها كيف استطاع سيف الدولة بناء هذه القلعة رغم ما يحيط به من أعداء ووصف جيش الروم وما كان عليه وما حدث في المعركة ؟ وكيف كان موقف سيف الدولة وهو في المعركة ؟ ...والمعروف أن المتنبي كان بجانبه وهو يخوض المعركة .[3]يقول :

ألا أيُّها السِّيفُ الذي ليسّ مُغمَدا ولافيه مُرْتَابَ ولا مِنْهُ عَاصِمْ

[1] المتنبي ، الديوان ، ص387.

[2] المرجع السابق ، ص387 .

[3] أسماء شمس الدين ، محاضرة في الشعر المتنبي ، ص7 .

هنِيئًا لِضربِ الهَامْ والمَجدْ و العُلى وَرَاجيكً والإسلام أَنَكَ سالمُ [1]

فسيف الدولة هو الملهم للبطولة ومجسدها والمتنبي هو الواصف المعبر ، فسيف الدولة هو الفعل والمتنبي القول ، والبطولة القول والفعل ...مقدما له التهنئة في هذا الانتصار بعد توجيه الخطاب إليه .

وأخيرا تؤكد هذه القصيدة عن امتلاك المتنبي كل مقومات الشعرية فيها الكثير من طاقات اللغة العربية ، ذو معجم شعري وذخيرة لفظية واسعة ، ومفردات مناسبة متماسكة لفظا وصياغة وأساليب والمتنبي رصد ألفاظا من صميم الملاحم مثل (العزم، العزائم ، المكارم ، تعظيم ، العظيم ، العظائم ، وَقَفَتْ ، الموت ، الرَّدى ، الأبطال ، كلمى ، هزيمة الشجاعة ...).[2]

على غير ذلك من الألفاظ الموحية التي تتلاءم مع بعضها البعض ، وغيرها من الأساليب التي تُضفي جماليات على القصيدة .

فهذا الشعر بحق يمثل ملاحم العرب وتكمن منه عَظمة الحدث وعظمة القصيدة .

وبالإضافة إلى الأشعار ذو ملامح ملحمية لكل من أبي تمام والمتنبي نجد شعر المعلقات في الشّعر الجاهلي والتي كانت رأس الملاحم العربية ، حيث ذهب بعض الدارسين إلى

[1] المرجع السابق ص 11.

[2] نور الهدى لوشن ، وقفة مع الأدب الملحمي ، ص37.

عد بعض المعلقات الجاهلية من الشّعر الملحمي أو هي إلى الشعر الملحمي أقرب من غيره ، وشعراء هذه المعلقات التي قيل أنها أقرب إلى الملاحم هم :

عمرو بن كلثوم ، الحارث بن حلزة ، عنترة بن شداد [1].

هذه المعلقة الأخيرة التي امتازت بالنفس الملحمي وقد تجسدت فيها بعض العناصر الملحمية وإن كانت العناصر الأصلية قد سقطت منها .

ج/ **شعر عنتر ابن شداد :**

هو عنترة ابن شداد ابن معاوية ابن الفراد العبسي الشاعر المشهور من أهل نجد من فحول الشعراء الطبقة الأولى كان أشعر العرب والحضر وكان أسبقهم إلى لطائف الشعر ، كما كان أسبقهم الى حومة الطراد دقة الفاظه تسحر العقول ودقة معانيه تجلب الألباب [2] .

فشعر عنترة هو صورة حية لشخصيته وللأحداث التي عاصرها من أهم ما يتصف به الصدق الفني وحماسته العالية ومما لاشك فيه أن أشهر ما لعنترة حماسته ، وهي تدور

[1] المرجع نفسه ، ص39.

[2] أمين الخوري ، ديوان عنترة ، بيروت ، ص4 ، ص2.3.

على أحداث بطولية فريدة دافع بها عن نفسه وبني قومه ولقد زخرت المعلقة إلى جانب مقاطع متفرقة بالنفس الملحمي حيث تتمثل الشجاعة بجميع مظاهرها وأكرم صورها .[1]

ودون أدنى شك أن حماسة شعر عنترة تمتزج بنفس ملحمي بطولي ظاهرة بوضوح عامة ومعلقته خاصة وإن فاتت أبياته عناصر الملحمة الأصيلة من ذلك قوله :

أنَا فِي الحَربْ العوانْ غيرَ مَجْهوُل المكانْ .[2]

ويبدو عنترة في المعلقة شخصية فضة كونها النبل وصهرتها الشجاعة يتطلب العفة والأباء والشرف والحرية شغلته السيادة وأسكره الحب ولقد توصل بشاعريته وبطولته ومزاياه الخلقية تسنم الذروة التي عاش في سبيل بلوغها ،واستطاع أن ينتزع إعجاب عبلة ومحبتها فهو القائل [3]:

ولقد ذكرتك والرّماح نَواهِل منِّي وبيض الهند تقطر من دمي .

فوَدَدْتُ تَقبيلْ السيوفِ لأنهاَ لَمَعَتْ كبارق ثغرك المبتسم .

[1] جورج غريب ، الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه ابن كلثوم ، ابن حلزة ، ابن شداد ، دار الثقافة ، لبنان بيروت ، ص59.

[2] المرجع نفسه ،ص60.

[3] المرجع نفسه، ص67.

من خلال البيتين ذهب الشاعر إلى تبنيه لمعان السيوف في المعركة في ثغر عبلة المتبسم ، فهو غزل بصفة عامة ومعلقته خاصة بأوصاف ملحمية للمعارك التي خاضها [1].

ولقد صور شعر عنترة ساحات المعارك والقتال وما يجري فيها بما يكتنفها من مشاهد مروعة بسيف فارس بن عبس عجاجها بجنون البسالة ومن حوله انصباب الدماء واشتباك الرماح والتحام السيوف وتحطم الدروع لمحات ملحمة تنحصر ضمن نطاق الغنائية العربية وهو تصوير مدهش فيه الكثير من ملامح الملحمية .[2]

ولنقرأ هذه الأبيات أيضا بتروِ ، حيث يصف فيها بطولته الخارقة وفروسيته الباهرة كيف لا وهو " أبو الفوارس " :

لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتدامرون ، كررت غير مذمم

يدعون عنترة والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

مازلت أرميهم بثغرة نحره ولبانه حتى تسربل بالـــــدم

فأزرو من وقع القنا بلبانـــه وشكا إلي بعبرة وتحمحـــم

لوكان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لعلم الكلام مكلمـــي

---

[1] المرجع السابق ،ص57.

[2] المرجع نفسه، ص 67.

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمـــا قيل الفوارس ويك عنترة أقدم .[1]

ومن خلال هذا الحس الملحمي في معلقة عنترة ابن شداد أو في بعض أشعاره الأخرى أشاد الباحث جورج غريب في كتاب الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه قائلا عنه : لاشك أن ما في هذه المعلقة من عناصر ملحمية هو الذي أوجد مع الزمن سيرة عنترة وقد تحلت فيها شخصية الشاعر ، بما فيها من نيل وعفة وإقدام وشجاعة ، هذا الشاعر الذي سعى وهو العبد المنبوذ في سبيل السيادة فعاش معظم أموره في جو ملحمي صرف صوره في شعره أصدق تصوير فكانت حياته ملحمة متصلة الحلقات [2] .

ذكر سليمان البستاني أثناء تعريبه للإلياذة كثير من مواضع التناص بين إلياذة هوميروس وشعر عنترة ابن شداد وسنتطرق إلى بعض هذه الأبيات التي جاءت على شكل معارضة بين عنترة وأخيل بطل اليونانيين (حيث نجد بين ما جاء من قول بطل العرب موافقا لقول بطل اليونان)في هذا الموضع :

قال أخيل :

وليهلك الغيظ ما بين الأنام فكم أغرى و أوغر منقادا حكيمهم

وقال عنترة :

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

[1] المرجع نفسه ، ص67.

[2] –المرجع السابق ،ص 68.

قال أخيل:

وليس من شاغل ذا اليوم يشعلني إلا ادخار على تسموبه الهمم

وقال عنترة :

دعني أجد إلى العلياء في الطلب وأبلغ الغاية القصوى من الرتب

قال أخيل :

يعلمن أن اعتزالي طال فاغتنم الأعداء بوني و أني الآن بينهم

وقال عنترة :

سكت فغر أعدائي السكوت وظنوني لأهلي قد نسيت

قال ذلك وهو في موقف موجدة واعتزال كموقف أخيل [1] .

حيث يذهب سليمان البستاني من جراء كثرة المشاكلة بين أحوال عنترة وكلام أخيل وإن من تصفح ديوان عنترة ليعجب من كثرة المشاكلة بين كلامه وكلام أخيل وقد أوردنا شيئا من ذلك في مواضعه و أعربنا عن ذكر كثير خوف الإطالة [2] .

والسؤال المطروح الآن هو : هل كان للعرب ملاحم ؟.

[1]–المرجع نفسه ، ص 91.

[2]– المرجع نفسه ، ص 94.

والجواب عن ذلك :"أفهم لا شك عرفوا الشعر الملحمي ، ولكنهم لم يعرفوا الملحمة كبناء ، رغم وفرة المواضيع ووفرة العبقريات ".

وفي السياق نفسه ، تذهب الباحثة "نور الهدى لوشن" قائلة : " وقد توافرت للجاهليين أسواق للخطابة والشعر بالإضافة الى الحروب والبطولات والغزوات والمغامرات والفروسية ، ومع ذلك لم يقم لهم فن ملحمي بقوالبه المعروفة "[1] .

ومن خلال قولها يتبين لنا بوجود شعر ملحمي عند العرب ، لكن بقوالب غير معروفة مختلفة .

وفي سياق آخر ، ورأي جدير بالاعتبار ، قائلة :"وهو أنه لئن لم تنتج الجاهلية والأدب العربي جملة –شعرا ملحميا متكاملا ، أن ذلك ليكمن في "نرجسية الشاعر العربي الجاهلي " ، حيث أن نرجسية الشاعر العربي الجاهلي بالخصوص هي السبب جراء عدم وجود ملامح ملحمية في الشعر العربي [2] .

[1]–نور الهدى لوشن ، وقفة مع الأدب الملحمي ، ص 16–17.

[2]–المرجع نفسه ، ص 48–49.

في حين يذهب الباحث "محمد عبد السلام كفافي " إلى القول :"إن الناظر إلى تراث الشعر الجاهلي –كما وصل إلينا –لا يجد في هذا الشعر أدبا ملحميا بالمعنى المعروف لهذا المصطلح " [1] .

ولعل خلو الشعر العربي القديم من الملاحم يعود إلى ركائز الشعر الملحمي ذاته ، وقد مر بنا قبل قليل أن الشعر الملحمي يستمد مادته من صراع الآلهة ، وهذا غير موجود عند العرب ، أضف إلى ذلك أن طبيعة الشعر العربي والتزامه بالقافية الواحدة يحولان دون الصياغة الشعرية ذات النفس الملحمي الطويل ، حيث كان العربي يتغنى بغرض معين واصفا أو مادحا ، متغزلا ، مفتخرا [2].

ويمكن حصر أسباب خلو الأدب العربي من الملاحم فيما يلي :

–كان العربي في الجاهلية بعيدا على أن يشغل أفكاره بأمور خيالة بعيدة عن حياته الواقعية كما أن عاطفته الدينية كانت بسيطة لا تقوى على اختراع الحوادث الخارقة للعادة التي هي أصل الملاحم.

–كانت الأرض العربية بعيدة عن الغزو الأجنبي العظيم الذي يثير في النفس تظم مثل هذه الفنون الأدبية ، أما حروبهم فيما بينهم فقد كانت على شكل كم وفرا ، ولم تشارك فيها الجيوش الجرارة المنظمة .

---

[1]–محمد عبد السلام كفافي ، في الأدب المقارن ، ص 266–267.

[2]–نور الهدى لوشن ، وقفة الأدب الملحمي ، ص 36.

–وكان الشاعر البدوي حرا متقلبا قصير مدى الخيال ، والتخيل لا يكاد يقوى على نظم قصيدة في موضوع واحد ، فكيف يقوى على نظم قصيدة في موضوع واحد ، فكيف يقوى على نظم ملحمة طويلة واسعة الأصول والفروع .ك للشاعر العربي ،

–يجب أن يتوارى في الملحمة شخصية الشاعر خلف الأحداث ، فينطق بلسان أبطاله ، وكيف يكون ذلكوهو مغرم بذاته شغوف بسرد ما يصدر عن أنه الشعر[1] .

–كانت حياة العرب بعيدة عن الاستقرار بحيث أنهم كانوا يتحلون طلبا للماء والكلأ مرات متعددة وفقا لتقلبات الطقس خلال السنة الواحدة .

–إضافة الى ذلك كان البدوي قليل الصبر شديد الانفعال ، قصير النفس بعيدا عن التحليل ، والتعليل وضيق الأفق ، والخيال لا يخرج في شعره عن حيزذاته ، ومنفعته الآنية ، بل يستخدم هذا الشعر في تأمين عيشه ، أو في تدوين انفعالاته ، في كل مناسبة تطرأ ، وهذا النمط من الشعر لا يتفق مع شعر الملاحم الذي يقتضي شورا وطنيا صادقا ، وبعد عن المنفعة المادية المباشرة .

ولم يترجم العرب في العصر العباسي الملاحم اليونانية لاعتقادهم أن أدبهم خير الآداب ، ولكون معظم المترجمين أعاجم كابن حنين ، وغيره ...

فكان النظم عسيرا عليهم ، كما أن في الملاحم اليونانية وثنية طاغية فتعاشى العرب ذلك ، ولكونهم يعتقدون أنهم أحوج إلى نقل الفكر ، والعلم منه الى الأدب ، والشعر [1] .

[1]–محمد بوزواوي ، الأدب العربي (تطور الأغراض الشعرية والفنون النثرية).

هذا و إن خلا الأدب العربي القديم من شعر الملاحم ، فإنه لم يذل من قصائد ذات ملامح ملحمية ، ومن ذلك شعر عنترة الذي سماه المستشرق دوبر سفال "إلياذة العرب" ومعلقة عمرو بن كلثوم التي تصلح أن تكون نشيدا قوميا ، وماذكرناه سابقا من شعر المتنبي الحربي الذي نسمع من خلاله تصهال الخيل ، وصلصلة السيوف ، وصراخ الأبطال [2] .

ب-في الحديث

تتجه لكل الملامح الملحمية التي رأيناها فما سبق ، ظهرت في الشعر العربي الحديث والمعاصر محاولات شعرية جديدة ، حاولت أن تقتضي أثر الملاحم ، "فلا يمكن إنكار وجود الملاحم في وقتنا الحالي ، و أنما الذي يمكن إنكاره هو وجود الملاحم بكل خصائصها القديمة في وقتنا الحالي [3] .

فقد تطورت لفظة ملحمة ، إذ أنها كانت تعني في اللغة اليونانية ، "القصة أو الشعر القصصي الذي يختص بوصف القتال " والملحمة تعريب لكلمة (EPOS) الإغريقية ، و "يطلق على الشعر لملحمي باللغة الانجليزية عبارة (POETRY-EPIC) وكلمة

---

[1]-المرجع السابق ، ص 138.

[2]-المرجع نفسه ، ص 138-139.

[3]-نور الهدى لوشن ، وقفة مع الأدب الملحمي ، ص 47.

(EPIC) مشتقة من (EPOS) اليونانية ، ومعناها كلام أو حكاية ."وفي اللغة الفرنسية يطلق عليها (EPOPEE) [1] .

بل إن بعض الأفلام السينمائية الضخمة مثل فيلم "إيفان الرهيب "، تعتبر إبداعات و أعمالا ملحمية ، وبذلك فإن كلمة ملحمة لم يعد استخدامها مقصورا على روائع الأعمال الشعرية القصصية الضخمة التي عرفت في العصور الكلاسيكية القديمة (في الشرق والغرب على السواء) وفي العصور الوسطى وعصر النهضة في أوروبا ، بل إن استخدامها يمتد لكي يشمل ما يعرف الآن باسم "الشعر الملحمي الحديث "[2] .

لذا فكلمة "**ملحمة**" العربية استخدمت حديثا للدلالة على هذا النوع الأدبي الذي عرفناه في العصور الحديثة معرفة واضحة ، بعد اتصالنا بالغرب ، وبمختلف آدابه القديمة والحديثة [3] .

وفي بداية النهضة ، لم تكن هذه اللفظة لتعني هذا النوع الأدبي المعروف في الآداب الأخرى قبل عصر النهضة ، لكن في بداية النهضة وعن طريق الاتصال بالغرب والتأثر بالآداب الأجنبية بدأت تظهر بعض المحاولات التي تقتضي أثر اليونان في هذا الفن [4] .

---

[1]–المرجع نفسه ، ص 10 .

[2]–أحمد أبو زيد ، الملاحم كتاريخ وثقافة ، مثال من الهند : الرمايانا ، ص 12.

[3]–محمد عبد السلام كفافي ، في الأدب المقارن ، دراسات في نظرية الأدب القصصي ، ص 124.

[4]–نور الهدى لوشن ، وقفة مع الأدب الملحمي ، ص 43.

وتعاقبت الملاحم إلى العصور الحديثة ، لكن التاريخ أهمل الملاحم الحديثة التي طواها النسيان ، ولم يحفظ لنا من الملاحم إلى القديمة منها [1] .

ويعترضنا سؤال هو : هل موضوع الملاحم الحروب دائما ؟.

ويمكن الإجابة عنه كالتالي ، كانت الإلياذة بشهرتها الواسعة ، ومما انطوت عليه من وصف الحروب بين طروادة واليونان عاملا إلى إثبات هذا التصور وإشاعته عند الناس ، لكن الشيء الذي يجب ألا نغفل عنه منذ البداية هو أن هذا التصور خاطئ.

فالشعر الملحمي شعر قصصي يتناول بأسلوب روائي ، موضوعه البطولة وسير الأبطال ، سواء أكانت بطولة حرب أم بطولة سلام [2] .

مازال في العصر الحديث ، فمن المسرحيات والقصص ما تستعير موضوعاتها من أساطير ملاحم "هوميروس " ، وغيره من الأقدمين ، ولكن مؤلفيها يصوغون هذه الموضوعات في قصة أو مسرحية وكلاهما جنس أدبي حي ، ثم يتصرفون في الأسطورة حتى تصير مزية ، وبحيث لا يكون للرمز من معنى سوى أنه قالب [3] .

---

[1]–المرجع نفسه ، ص 16.

[2]–المرجع نفسه ، ص 13–14.

[3]–محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، ص 133.

ولعل هذا التأثير ولد عند الشعراء التطلع الى مجاراة الملاحم الكبرى ، وخاصة "إلياذة هوميروس " والتي ترجمها سليمان البستاني ، وقام بنقلها من اليونانية إلى العربية شعرا ، في مقدمة رائعة تعد بحق إطلالة عن الأدب الملحمي .

بل نجد في العصر الحديث محاولات ملحمية ، حاول أصحابها تطوير هذا اللون الفني كمحاولة الشاعر اللبناني "بولس سلامة " ، الذي يبقى من الأعمال الأدبية الناجحة في مجال الملحمة في الأدب العربي ، الذي ظهر في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات من قرننا هذا بملحمتيه (عبد الغدير) و (عبد الرياض) إضافة الى ملحمة الشاعر فوزي المعلوف (بساط الريح) [1] .

يبقى الباب مفتوحا أمام هذه الملاحم سابقة الذكر ، وسنتعمق في عرضنا لها وبيان موضوعاتها .

أ-سليمان البستاني (إلياذة هوميروس) :

1-هوميروس :

اختلف المؤرخون في اسم صاحب الإلياذة ، ولكنهم متفقون على أن هوميروس لقب به بأمر جلل تخلل حياته فعرف به ، و أهمل اسمه على نحو ما اتفق لكثيرين من شعرائنا

[1]-نور الهدى لوشن ، وقفة مع الأدب الملحمي ، ص 46.

الذين غلبتهم ألقابهم وكناهم على أسمائهم كطرفة ابن العبد ، والشماخ ، والنابغة ، والفرزدق ، والمتنبي و أبي العلاء [1] .

يعد هوميروس من أعظم شعراء الإغريق في كتابه الملاحم بل تعد ملحمته أساس الفن الملحمي ، و أسس هذا الجنس الأدبي ملحمتاه الإلياذة والأوديسة .

ولد هوميروس بإزمر في تركيا وكان فتى جميل الهيئة قوي البنية اشترك في عدد من الحروب ثم أسر أطلق سراحه فاشتغل معلما للصبيان ، كان هوميروس يحب الطبيعة ويتحول فيها وينظم معظم أشعاره في حضنها ويغنيها بنفسه ، لكنه أصيب بعينيه في شبابه فانزوى في بيته يكتب الشعر وما كتبه جمع في ملحمتيه ب ستة عشرة ألف بيت في الإلياذة ، وبتسعة آلاف بيت في الأوديسة [2] .

2-سليمان البستاني :

ولد في لبنان عام 1856 ، حصل على شهادة الثانوية في المدرسة الوطنية بيروت ، وعاش في العراق ثمانية أعوام (في بغداد والبصرة) ، ثم انتقل الى مصر والأستانة ، وانتخب نائبا عن بيروت في مجلس النواب العثماني ، وتوفي في مدينة نيويورك عام 1925[3] .

[1]-سليمان البستاني ، هوميروس الإلياذة ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ، ص 11-12.
[2]-محمد التونجي ، المعجم المفضل في الأدب ، ص 873.
[3]-د.ممدوح أبو الوي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، بدمشق ، المجلد 81 ، ج2 ، ص 04.

3-الإلياذة:(الإلياس) :

نسبة الى إليون عاصمة بلاد الطرواد التي حاصرها اليونان مدة عشر سنوات وتطور الإلياذة مدة سبعة وخمسين يوما من هذا الحصار تتألف من ثلاثة وعشرون نشيدا وهو عدد الأحرف اليونانية [1] .

وهي الملحمة التي نحن في صددها وضعها هوميروس على أسلوب بسيط وبناها على موضوع واحد وهو "غير أخيل (وهو أحد أبطال اليونان) أو احتدامه"[2] .

شرح فيها هوميروس بقوله :

ربة الشعر عن أخير بن فيلا أنشدينا و أروي احتداما وبيلا

من خلال البيت الشعري الذي كان مطلعه أحد عشر بيت ألف بيت عرب سليمان البستاني 1925م ، إلياذة هوميروس عام 1903 عن اليونانية .

يقول محمد مندور : " وقد ترجم سليمان البستاني إلياذة هوميروس شعرا عربيا وكتب لها مقدمة ضخمة عن الشعر ونشأته وفنونه وألوانه لكننا نلاحظ أن هذه المقدمة هي التي تقرأ اليوم أكثر مما نقرأ الترجمة وذلك لجهامة الأسلوب الذي استخدمه وبعده عن سحر وسذاجة الأصل اليوناني "[3].

---

[1]-د.ممدوح أبو الوي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ص 6.

[2]-سليمان البستاني ، هوميروس الإلياذة ، ص 21-21.

[3]-محمد بوزواوي ، الأدب العربي (تطور الأغراض الشعرية والفنون النثرية) ، ص 139.

بدأ البستاني ترجمته بمقدمة (هذه إلياذة هوميروس أزفها الى قراء العربية شعرا عربيا) ويستعمل كلمة أزفها لأنها كانت ثمرة تعب عمر ، وهو يعلوا أن هذا العمل سيخلده [1] ، ويتحدث من جهة أخرى في مقدمته عن مؤلف الإلياذة هوميروس و أسرته وشعره ومرضه ووفاته ، وقد عرف سيرة هوميروس بفضل اطلاعه على كتابات المؤرخ "هيرودوتس " ويرى البستاني أن هناك مصادر كثيرة تتحدث عن سيرة وحياة هوميروس ولكن أقربها الى الحقيقة هو ما كتبه "هيرودوتس " ، غير أنه كان يتقن اللغة اليونانية والانجليزية والألمانية والفرنسية والايطالية . فقد ترجم الإلياذة مستندا الى اللغات الخمس المذكورة آنفا . وعمل بترجمتها ثمانية اعوام (1887-1890)، ثم شرحها وعلق عليها وكتب المقدمة خلال سبعة أعوام أخرى (1890-1902) ، وصدرت عام 1903 عن دار الهلال بالقاهرة ، وتقع المقدمة في مئتي صفحة يجري فيها البستاني مقارنة بين الأدبيين العربي واليوناني ، ولاسيما بين (حديقة الشعر) لابن الرومي التي تقع في أكثر من مئتي بيت وبين الإلياذة [2] .

من خلال ما سبق نستنتج أن سليمان البستاني قدم عمل عظيما فمقدمة ترجمة الإلياذة في حد ذاتها عمل كبير رائد في الأدب المقارن تدل على ثقافة واسعة جدا بالأدب العربي

[1]- المرجع السابق ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ص 11.

[2]-المرجع السابق ، ص 13-14.

القديم والحديث ، فهي تعتبر من أقدم الأعمال الأدبية في العالم وجنس الملحمة من أقدم الأجناس الأدبية [1] .

ولذا تعد الإلياذة أعظم عمل ملحمي هوميروس وصل إلينا ، حيث تردد صداها في كل الآداب ، فكانت علما للملاحم على مر العصور [2] .

ب-ملحمة الشاعر فوزي المعلوف (بساط الريح) :

ولد فوزي عيسى اسكندر المعلوف في زحلة سنة 1899 ، درس في المدرسة الشرقية ، ثم انتقل الى بيروت وواصل دراسته في مدرسة القرير (الحميزة) .

بعد أن أنهى دراسته عين أمينا لصندوق دار المعلمين بدمشق ، ثم أمين سر المعهد الطبي العربي ، وفي سنة 1921 هاجر إلى البرازيل واشترك مع شقيقيه في إنشاء مصانع للحرير ، وفي سنة 1922 ، أنشأ (المنتدى الزحلي) في سان باولو ، وفي سنة1929 أصيب بمرض عضال قضى عليه في كانون الثاني منذ سنة 1930.

كان ما في الذهن ، حار الشعور ، وفي الأخلاق ، لطيف المعشر ، كبير النفس ، وكان إلى هذا كله رجل متشائم [3] .

---

[1]-المرجع نفسه ، ص 21.

[2]-نور الهدى لوشن ، وقفة مع الأدب الملحمي ، جامعة الشارقة ، 2006،ص 17.

[3]-حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2005م ، ص 539.

توفي فوزي المعلوف في ربيع العمر ، وترك لنا مع ذلك مجموعة من الآثار القيمة التي تشمله بالتفوق في عالم الأدب والشعر ، وتبوئه مكانة رفيعة بين الأدباء والشعراء ومن آثاره الشعرية "على بساط الريح" ،"شعلة العذاب" ، " أغاني الأندلس " [1] .

حيث تعتبر ملحمة "على بساط الريح " ملحمة شعرية طبعت في ريودي جانيرو سنة 1930 ، و أشرف على طبعها شقيقه شفيق المعلوف ، ثم طبعت ثانية في بيروت سنة 1958 بإشراف شقيقه المعلوف رياض ، والطبعة غاية في الأناقة تزينها اللوحات الرائعة ، وتسموا بها الروح الفنية الناصعة ، وترجمت الى عدد كبير من لغاته الاسبانية ،والبرتغالية ، والانجليزية ، والفرنسية ،والألمانية ،الروسية ، والرومانية ... [2] .

ولعل ملحمة (على بساط الريح) وضعها فوزي المعلوف على أثر رحلة جوية قام بها مع رفاق له فوق شواطئ غواروجا وسانتوس مابين ري ودي جانيرو، وسان باولو، احتوت على أربعة عشر نشيدا. وقد أوحتإليه تلك الرحلة بقصيدة لامية كانت موضوع النشيد الرابع من الملحمة. وكانت الفكرة التي انطلق منها الشاعر لنظم أناشيده الأخرى، وفي الثامن والعشرين من حزيران سنة 1926 ظهرت الملحمة في مجلة الجالية بعنوان (شاعر في طيارة)، وما إن ظهرت حتى تسارعت الصحف إلى نقلها ونشرها. وتهافت الناس على

[1]–المرجع نفسه ، ص 542.

[2]–المرجع نفسه ، ص 542–543.

دراستها ونقلها إلى شتى اللغات، وكان شاعرنا قد جعل عنوانها (على بساط الريح) وعني بطبعها في كتاب أنيق، حافل بالرسوم الفنية الرائعة[1]

وموضوع الملحمة أن الشاعر غريب في دنياه، والمعلوف يرفعنا فيها إلى جو من النشوة تعاونت في خلقه الموسيقى والفكرة والصورة، فأعطت كلا جماليا متناسقا يفرض روعته.

يقول:

إيه يا نجمتي ألم تعرفيني شاعرا ينصت الدجى لنواحه ؟

كم ليال في الروض أحببتها أبكي، وأشكو إليك بين أفاحه؟[2]

فأناشيد فوزي المعلوف (علي بساط الريح) ليست ملحمة شعرية كما تسمى بقدر ماينبغي أن تكون أسطورة شعرية.[3]

فهي عمل ابتكاري تأملي يقف أمام حقائق الوجود في جرأة وصراحة وتشاؤم المعلوف ليس تشاؤما انهياريا وعدميا، بل هو تشاؤم ينقذه الرجاء والأهل، وفوزي المعلوف في ملحمته هذه رحب الخيال، رائع التصوير، يجمع مابين التراث العربي والثقافة الغربية جمعا حضاريا حافلا بالفن والجمال، كان شعره تجديديا من حيث نظلم القافية والقصيدة،

[1] المرجع السابق ص 548 .

[2] المرجع نفسه، ص 548.

[3] نور الهدى لوشن، وقفة مع الأدب الملحمي، جامعة الشارقة، 2006، ص45.

فلم يتقيد بالقافية الواحدة. بل ترك لفنه وذوقه أن يختار الغنة الموسيقية التي تلاءم كل موقف من مواقف بنائه الملحمي. ولم يتقيد أيضا بنظام الملاحم القديمة بل سار على نظام الملاحم الحديثة التي شاعت في أوروبا مع فيكتور هوغو وملتون وغيرهما. وتراءت في شعره فلسفة أبي العلاء المعري ونظريات دانتي، وكان على كل حال شخصي الرؤيا وبارع التصوير والتعبير.[1]

د/ ملحمة عبد الغدير "بولس سلامة" :

بعد الشاعر اللبناني بولس سلامة من أشهر الشعراء الذين وقفوا جزءا مهما من شعرهم على ذكر أهل البيت عليهم السلام، فتنوعت قصائده فيهم متضمنة عدة أبواب من الشعر، من مديح ورثاء وغيرهما، ومعظم هذه القصائد تضمنها ديوانه " عبد الغدير" الذي اصطلح النقاد والباحثون على إطلاق اسم الملحمة عليه، تغنى فيها بالإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

مولده:

ولد الشاعر في بكاسين فضاء جزين جنوب لبنان سنة 1902، درس في عدة مدارس، درس الحقوق في الجامعة اليسوعية ثم عمل قاضيا لفترة من حياته، أصيب بمرض أقعده الفراش قرابة أربعين عاما أجريت له خلالها أكثر من عشرين عملية جراحية، وتوفي عام 1979.

[1] حنا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، ص 551، 552

ترك الشاعر بالإضافة إلى "عبد الغدير" عدة كتب نثرية منها "مذكرات جريح" "حكاية عمر" و"الصراع في الوجود" وملحمة عبد الغدير هي أول ملحمة عربية وفق ما أجمع عليه معظم نقاد الأدب العربي، وهي تتناول أهم نواحي التاريخ الإسلامي من الجاهلية إلى آخر دولة بني أمية، ويشير الشاعر في تصديره لهذه الملحمة إلى أنه نظمها استجابة لاقتراح الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين في العام 1947 وأنهاها سنة 1948.[1]

وإذا كان العنوان يوحي باقتصار الملحمة على حديث الغدير فالأمر ليس كذلك فليس حديث الغدير (سوى فصل من هذا الكتاب) أهل البيت ضد أهل البيت (عليهم السلام) وواقعة كربلاء المفجعة، ليختم ملحمته بقصيدة يقول فيها:

يا أمير الإسلام حسبي فخرا

أنني منك مالئ أصغريا

جلجل الحق في المسيحي حتى

عند من فرط حبه علويا

فإذا لم يكن علي نبيا

[1] فيصل الأشمر، مقال حول الشاعر بولس سلامة وملحمة عبد الغدير، ص 1

فلقد كان خلقه نبويا

أنت رب العالمين الهي

فأنلني حنانك الأبويا

أنلني ثواب ماسطرت

كفي فهاج الدموع في مقلتيا

سفر خير الأنام من بعد طه

ما رأى الكون مثله أدميا

يا سماء اشهدي ويا أرض قوي

اخشعي أنني ذكرت عليا.[1]

هات شعر من عيونك واهتف

بأسد من أشبع السباسب ريا

بأسد زين العصور بعد نبي

نور الشرق كوكبا هاشميا

خير من جلل الميادين غارا

[1] المرجع نفسه، ص2

وانطوى زاهدا ومات أبيا

كان رب الكلام من بعد طه

أخاه وصهره والوصيا

يا سماء اشهدي ويا أرض قري

واخشعي أنني أردت عليا[1]

وفي القصيدة التالية يأخذ الشاعر في الحديث عن وضع الناس في الجاهلية وعبادتهم للأصنام وشربهم للخمر وممارستهم لأنواع المنكر، وفي القصائد التالية يتحدث عن قريش وهاشم وعبد المطلب وصلاة الاستسقاء التي أقامها الأخير حين أجذب الناس، ثم يذكر ميلاد الرسول (ص) وحماية عمه أبي طالب له وبعثته الشريفة وبعد أن يفرغ الشاعر من ذلك يصف مولد الإمام رضي الله عنه داخل الكعبة، وبزوغ فجر الإسلام على يدي رسول الله (ص) وهجرته إلى المدينة ثم لحاق الإمام به بعد مبيته في فراشه (ص)، ثم تتوالى قصائد أو فصول الملحمة مع ذكر أم المحطات في تاريخ الإسلام من ذكر الغزوات المتعددة مرورا بيوم الغدير الذي تصب فيه الرسول (ص) الإمام علي خليفة له على

[1] المرجع السابق، ص1

المسلمين، ثم يذكر الشاعر ما جرى من بني أمية (في أهم ما يتصل بهم من الجاهلية إلى ختام مأساة كربلاء.) [1] ولما عزم الشاعر على نظم هذه الملحمة، انصرف إلى درس المراجع التاريخية ويقول أنه قلما اعتمد مؤرخي الشيعة بل الثقات من مؤرخي السنة قطعا للظن والشبهات، مع تقيده بالتاريخ جهد الاستطاعة ويضيف أنه لزمه ستة أشهر لتأليف هذا الكتاب منها ثلاثة لدرس الموضوع وهذه الملحمة منظومة في أكثر من ثلاثة آلاف بيت من البحر الخفيف موزعة على سبعة وأربعين فصلا أو قصيدة يبدأها الشاعر بقصيدة عنوانها صلاة يشير فيها إلى معاناته من المرض ومنتهيا بمديح الإمام علي عليه السلام فيقول:

يا مالك الحياة أنزل عليا

عزمة منك تبعث الشعر حيا

واهب النور والندى للروبي

أولني من جمال وجهك شيا

طال في منقع العذاب مقامي

واستراح الشقاء في مقلتيا

إن حظي من الحياة سرير

[1] بولس سلامة، عبد الغدير، ص8

صار مني فلم يعد خشبيا

كل هذه الدنيا الطليقة أضحت

ويح حظي، أضحت حراما عليا

يا الهي سدد خطاي فاني

قد تمرست بالضلالة غيا

2/ عناصر الملحمة:

تنفرد الملحمة بخصائص جمة مما يميزها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى منذ القديم.

يحاول "بول ميرشانت" من خلال تقرير من شمال الفتنام نشرته جريدة "الصنداى تايمز" اللندنية بتاريخ21 جويلية 1961، تصف "ماري ماكاثى" الحرب يقولها: "كان دفاعهم عن أرضهم عملا ملحميا له كل خصائص العمل الفني الذي يتجاوز كل أبعاد الواقع" ويذكر لنا الشاعر الشهير "عزرا باوند" (الملحة قصيدة تتضمن التاريخ) [1]وأول من حدد خصائص الملحمة تحديدا فنيا الفيلسوف اليوناني أريسطو، في كتابه فن الشعر ويشتمل هذا الكتاب على دراسة للمأساة والملحمة، حيث ذكر أن الملحمة يجب أن تدور حول حادثة واحدة مكتملة في ذاتها لها بداية ووسط ونهاية، ويقول أيضا أن شاعر الملحمة

[1] أحمد أبوزيد، الملاحم كتاريخ وثقافة مثال من الهند، الرمايانة،ص12

ينطلق في روايته حرا من القيود التي يفرضها التمثيل، سواء في طريقة تصويره للواقع أو التزامه بمكان وزمان.[1]

إضافة إلى هذا، أن معظم الأساطير الملحمية تدور حول عدة أبطال فتضخم مآثرهم وتخرجهم من نطاق البشر العاديين وتحولهم إلى رموز ممثلة لفكرة أو لقومية، فمنذ أقدم العصور سرد الرواد الأعاجيب والخوارق الطبيعية لاسيما للعصور التاريخية.[2]

فان من أهم خصائصها أيضا أن أول مايميز الملحمة هو ذلك التنوع الهائل، والتشعب في الموضوعات التي تعوض لها، بحيث نجد الأحداث والوقائع الحقيقية جنبا إلى جنب مع الأسطورة، والحكاية ، الخرافية، والقصص والروايات المتعلقة بأعمال البطولة والتي لا تخلو من المبالغة والتهويل وذلك فضلا عن القصص ذات الطابع الديني، مع الإشارة إلى بعض العادات والتقاليد بل بعض الآراء والخطرات الفلسفية والأخلاقية.

كما تعتبر من بين الخصائص الهامة أيضا التي تميز الملاحم والأعمال الملحمية الكبرى هي الزج بين القوى البشرية والقوى الإعجازية أو الفائقة للطبيعية.[3]

هذه بعض الخصائص التي يتميز بها الملاحم، ولا يتوقف الأمر هنا عند هذه الخصائص فحسب بل هناك خصائص أخرى ومن هذه الخصائص أيضا الخاصية الموالية فانه على

[1] محمد عبد السلام الكفافي، الأدب المقارن ، ص125،126

[2] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، ص264،265.

[3] أحمد أبوزيد، الملاحم كتاريخ وثقافة مثال من الهند، الرمايانة، ص14

الرغم من أن أحداث الملحمة هي أحداث عيانية مفردة وأن أبطالها أشخاص قد يكون لهم وجود فعلي في الحياة، فان الملحمة تتجاوز ذلك المشخص العياني المحدود وتسمو عليه وتعبر في مجموعها عن أحاسيس وآراء ونظرات أكثر تجريدا وشمولا من تلك المواقف المحدودة. ولذا فان الملحمة تنطلق من الواقع لتنجح إلى الأسطورة والخيال ولعل بأنها نوع من الشعر اللاشخصي أو أنه شعر موضوعي، وذلك على الرغم من أم الملاحم عمل إبداعي وأن الذاتية أو الشخصانية عنصر مميز لكل الأعمال الإبداعية سواء كان ذلك في مجال الأدب أو الفن أم الفكر[1]

هذه هي إذا أهم الخصائص التي تمتاز بها الملحمة والتي يمكن أن نحملها فيما يلي:

1. هي عمل قصصي يساير مرحلة طفولة المجتمعات يمتاز بالضخامة ويمتزج فيها التاريخ بالأسطورة مجنحة بالخيال.
2. تروي أسلوبها بالحوار والإخبار والوصف، متمشية مع الفن الملحمي.
3. أحداثها خوارق فوق ما يتصوه ويصدقه العقل المعاصر من وقائع الحياة، ولكنها مع ذلك صادرة عن إيمان فعلي بها خلال تلك العصور السحيقة من جاهلية الفكر ومدركاته.
4. ونلاحظ أن العنصر الديني يساير كل مرحلة من مراحل التطور الفكري للمجتمع.

[1] المرجع نفسه، ص 15،16.

5. وأنها ترتكز على العصور التاريخية ولكنها تختلط بالأساطير والخرافات لذلك العهد الذي لم تقم فيه حدود فاصلة بين الحقائق والخيالات.[1]

من حيث أنها مشهد ناء للزمان والمكان، هي أيضا أسلوب موضوعي عال رصين في فخامته، حبكة بسيطة، حاثة مركزية (أو سلسلة من الأحداث) تتناول مادة أسطورية أو تقليده، موضوع يتضمن مشكلات إنسانية عامة، بطل سامق العلو في ارتفاع قامته المعنوية، قوة جسيمة وعقلية وشخصية تفوق البشر، قوى غيبية تتدخل في الفعل.[2]

نستخلص مما سبق أن الملحمة عمل قصصي من الدرجة الأولى، يمتزج فيها التاريخ بالأساطير لارتباطه بفجر تاريخ الشعوب وتبقى الفروق قائمة بين ملاحم كل مرحلة من مراحل التاريخ.

[1] نور الهدى لوشن، وقفة مع الأدب الملحمي، ص14.

[2] ابراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر صفاقس (تونس)، ص344.

الفصل الثاني : فن الملحمة

- مفهوم الإلياذة:

إن كلمه إلياذة تحيلنا إلى تاريخ عريق لما يتجلى في اليونانية تحديدا إلياذة هوميروس التي دارت أحداثها حول حرب طروادة، تلك الحادثة الواقعية الملفوفة في لباس الأسطورة والخيال وهذا ما يقال عنه الملحمة البدائية أو الصنيعة أي من صنع الإنسان الأول[1].

ومن هنا نجد أن الإلياذة حملت الخرافة في طياتها، ووجود الواقعية وأن كل أسطورة ملحمية تتضمن في جذورها بذرة تاريخية دقيقة يطلق عليها الشعراء ما يحلو لهم.[2]

ومن ثم دارت الإلياذة حول الخرافة وأبطال الأسطورة أمثال هوميروس فيرجيل والشاهنامة الفارسية....الخ. على عكس الملحمة الحديثة التي تتناول بطل واحد وهي اقرب في الواقع منه إلى الخيال .

ونخلص إلى القول إلى أنه: إذا وجد هناك ملحمي في الوقت المعاصر فهل يستطيع أن يصل إلى دورة النجاح وإذا كانت الركائز أو الخصائص الملحمية متفقة مع الفترة التي وجد فيها ومصبوغة بصبغة عصرها وهذا ما طالعنا به شاعر الثورة مفدي زكريا من خلال جعل الجزائر بطل في "إلياذة الجزائر" ذات الألف بيت.[3] فما هي إلياذة الجزائر؟

2-في مفهوم إلياذة الجزائر و تاريخها:

إلياذة الجزائر مدونة شعرية مكتوبة في ألف بيت وبيت، وبالنسبة لمفدي هي التاريخ والبطولة المشدودان والفعل الدائم للناس وهم في دورين أساسيين من أدوار حياتهم:

---

[1]- جبور عبد النور، المعجز الأدبي ، ص 264.

[2]-المرجع نفسه، ص265.

[3]-نور الهدى لوشن، وقفة مع الأدب الملحمي، ص35.

الدور الأول: هو مواجهه المحتل بالأرواح الزكية والدم الطهور والشجاعة النادرة.

الدور الثاني: هو البناء الأزلي الدائم منذ بداية العمران الأولى وحتى يوم الناس الراهن.

إلياذة الجزائر كتابه شعرية قام بها كل من مفدي زكرياء ومولود قاسم نايت بلقاسم وعثمان الكعاك مشتركة في الاختيار. والإهتمام والمطالعة والانتباه والتقصي، والسؤال ووجهات روافدها المكانية ثلاثة هي الجزائر وتونس والمغرب، حيث كان مفدي يعيش في المغرب (الرباط)وكان مولود قاسم مقيما بالجزائر، وعثمان الكعاك في تونس.

أما تاريخ الإلياذة فهو ثلاثي الأبعاد والدوائر أيضا، فهو أولا تاريخ الجزائر، وثانيا تاريخ المغرب العربي، وثالثا التاريخ الإسلامي[1].

فالتاريخ هو الأهم والبداية والنهاية وبيت القصيد والزبدة من كل ثقافة ليس فقط للتعريف بالأنجاد والأمجاد وليس فقط لاستخلاص التجارب ولكن أيضا لغرس الإعتداد بالنفس وتعميق الوعي بالذات وتوطيد الاعتزاز بالوطن.

والإلياذة تستحق كل هذا وأكثر فهي إلياذة الجزائر أي أجمل وأكمل صياغة لتاريخها بآمالها وآلامها، بانتكاساتها وانتصاراتها كما هي وظيفة التاريخ لأية أمة من الأمر إذا هو عقلها كما قال الفيلسوف الألماني "شوبنهاور" «التاريخ للأمم هو كالعقل للأفراد إذ انه هو مرشدها ودليلها وخلاصة تجاربها وسجل مجدها ووجودها كأمة بين الأمم لتأكيده عناصر الشخصية ومكونات الذاتية والأصالة لديها[2]»

[1]– مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1987،ص11.

[2]– المرجع السابق، ص15،16.

3- موضوع الإلياذة هو الجزائر:

بطبيعتها وعمرانها وتاريخها القديم والحديث وأبياتها الألف بيت و بيت تنقسم إلى موضوعات جزئية تحددها المقاطع:

- طبيعة الجزائر وعمرانها (تستغرق 19 مقطع).
- تاريخ الجزائر القديم من قبل الميلاد إلى بداية الإحتلال الفرنسي (استغرق 15 مقطعا)
- مقاومة المستعمر ابتداء من الإحتلال إلى قيام الثورة المسلحة سنة 1954م (و يأخذ 19 مقطعا)
- الثورة المسلحة إلى الاستقلال من سنة 1904 إلى سنة 1962 (و خصص لها 15 مقطعا)

-ثورة البناء واسترجاع الاستقلال (أخذت 35 مقطعا)

تضم هذه الأجزاء كلها الموضوع الكلي الجزائر و هو موضوع ملحمي يروي تاريخ الجزائر وأهم البطولات التي خلدها أبناؤها[1] .

و الإلياذة أحسن سجل لتاريخ الجزائر حتى اليوم، أي أحسن كتاب فيه وعنه وله ، وحتى إذا ما كتب هذا التاريخ يوم ما بصفة كاملة شاملة فستبقى إلياذة الجزائر أروع تاريخ

[1]- نور الهدى لوشن، وقفة مع الأدب الملحمي،ص54،55.

للجزائر ، وأكثره وقعا على النفوس، وأسهله على الحفظ والتذكر والإستشهاد في معرض الاستشهاد والاحتجاج[1] .

ولنكتف هنا بالإشارة إلى مقطوعات الإلياذة و بروز الخصائص الملحمية فيها وإن كانت مصبوغة بصبغة عصرها وأسلوب ناظمها وهذا ما جعلنا نهتم اهتماما كبيرا بإلياذة الجزائر لدراستها ومعرفة إن كانت تحمل بعدا ملحميا في شعره.

1-الرمز الملحمي :

لا شك أن الرمز أحد الأدوات الفنية في التعبير ، حيث يلجأ إليه الشاعر ليضفي جماليات على صوره الشعرية.

ويمكن تعريفه على أنه إشارة أو علامة محسوسة تذكر بشيء غير حاضر من ذلك : العلم رمز الوطن، الكلب رمز الوفاء، الحمامة البيضاء رمز البراءة ، الهلال رمز الإسلام[2] " ، وتظهر الرموز في الشعر وهي دلالات ذات طاقة عالية التواصل ما لدى الشاعر المعاصر، ومنه يتطرق الشعراء في رسم الرمز، باختيار كلمات مركزية ومحورية في الحياة المعاصرة.

وإذا استنطقنا إلياذة الجزائر للشاعر مفدي زكريا ، فبلا شك أن الكلمة المركزية والمحورية فيها التي تشكل الرمز الملحمي هي كلمة "**الجزائر**. "

---

[1]- المرجع السابق، ص12،13.

[2]- جبور عبد النور، المعجم العربي، ص124.

لقد اختار الشاعر مفدي زكريا إلياذة الجزائر وهي المنظومة الشعرية المطولة التي أريد لها أن تكون ملحمة أو مستنسخا ملحميا بعنوان دال قياسا على العنوان الذي تحمله إحدى أكبر الملاحم في تاريخ الأدب الإنساني القديم و هي إلياذة هوميروس.[1] فالشاعر لم يختر هذا العنوان اعتباطا بل اختياره لأنه يحمل دلالة رمزية ، فالعنوان أيضا يجعل القارئ يلتفت أول الأمر إليه لأنه أول ما يصادفه في الغلاف الأول وحجمه يكون أكبر من كل البيانات المرافقة له كإسم الكاتب، دار النشر.....

فالعنوان باختصار هو خلاصة النص ، وإذا اقتربنا من المادة الشعرية لمفدي زكريا ، سنجد أن أول واجهة فنية يرتسم فيها الموقف الملحمي هي واجهة العنونة الشعرية التي انتقاها وارتضاها الشاعر وسما وتسمية لخطابه الشعري قبل الثورة وأثناءها وبعدها.[2]

فللعنونة دلالات عدة وعناوين مفدي زكريا على وجه الخصوص تمتلك خصائص فنية متميزة اقتضاها سياق الموقف الملحمي التي يتميز به شعره[3] .

أما إذا توقفنا عند الفاتحة النصية وهي بمثابة مطلع القصيدة و أول ما يفتتح به الشاعر عمله الإبداعي و هي كلمة **الجزائر** حين يقول في مطلع القصيدة:

جزائر يا مطلع المعجزات و يا حجة الله في الكائنات[4].

---

[1]– عثمان بدري، دراسات تطبيقية في الشعر العربي نحو تأصيل منهج في النقد التطبيقي، منشورات ثالة. الأبيار– الجزائر– 2009، ص 120.

[2]- المرجع السابق،ص122.

[3]- المرجع نفسه،ص124

[4]-مفدي زكريا،إلياذة الجزائر،ص19

فالجزائر هي أول ما جاء في الفاتحة النصية للإلياذة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على هيمنة هذا الرمز الملحمي الدال على أحاسيس الشاعر وفكره. غير أن كلمة الجزائر تكررت في نص الإلياذة بكثرة خلال تكرار اللازمة هي: في الملحمة بمقام (الأنشودة).

شغلنا الورى ، وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر[1]"

ونجد تكرارها كرمز ملحمي في العديد من الأبيات تقول الشاعر:

جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات (ص19)

جزائر يا بدعة الفاطر ويا روعة الصانع القادر (ص20)

جزائر يالحكاية حبي ويا من حملتي السلام لقلبي (ص21)

جزائر أنت عروس الدنا ومنك استمد الصباح السنا (ص22).

أفي رُؤية الله فكرك حائر وتذهل عن وجهه في **الجزائر**؟(ص23)

و في كل بيت غوالي المنى وفي كل بيت نشيد **الجزائر** (ص 23)

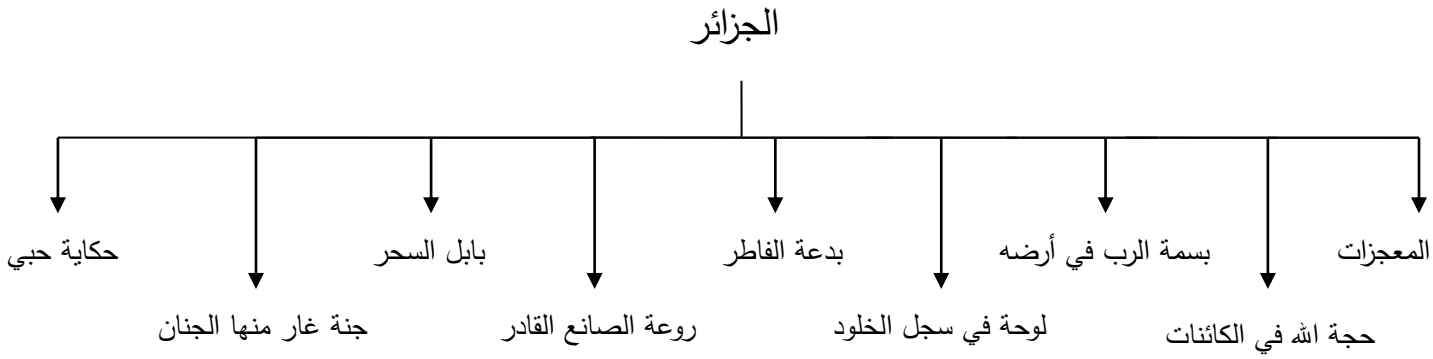
و لولا تواضع أطلسنا لكانت **جزائرنا** في الطليعه (ص31)

[1]- الرجع نفسه،ص21،20،19....ص118.

من خلال ما سبق نلاحظ بأن تكرار كلمة"**الجزائر**" بهذا الكم الهائل مرتبط ارتباطا وثيقا بنفسية الشاعر، وفيه يتغنى الشاعر "بمفاتن" و"بطولات" وكرامات الجزائر عبر التاريخ . وتبعث على الفخر والإعتزاز والقيم الجمالية والقداسة وكل التعابير تجسدت في إلياذة الجزائر وهذا يدل على أن للجزائر مكان مرموقة وخاصة عند الشاعر باعتبارها وطنه.

ومن كل هذه الجماليات نجد شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا يصف الجزائر بجليل الأوصاف وبالغ الحب والتقدير، فقد كبر بها وبتاريخها البطولي وبجمالها الطبيعي الخلاب وافتخاره بكونه ينتمي لهذا الوطن الحبيب.

و للتدليل على مختلف النعوت الإيجابية التي نعت بها مفدي زكرياء الجزائر وضعنا هذا الشكل النموذجي:



من خلال كل هذا أصر مفدي زكريا أن يجعل الجزائر محور الإلياذة بل وجعلها رمزا وحقلا مهيمنا على بنية النص من بدايته إلى نهايته.

عنصر البطولة:

تعتبر البطولة قوام أساس في الملحمة، فلا نمر على ملحمة ما ونجدها تخلو من بطولة من البطولات، ذلك بأن الملحمة في أساسها شعر بطولي، وتدعى بالملاحم البطولية. ولقد عرجنا في الجزء النظري عن أهم الملاحم الأوروبية سواءا أكانت حديثة أم قديمة ،غربية أم عربية.

فطابع البطولة هو العنصر الأساسي المميز للملاحم أو لمعظمها على الأقل والعامل المشترك والمستمر في أغلبها رغم فوارق الزمان والمكان[1].

وهذا الطابع البطولي يشير إلى أن الإنسان يعنى في آخر الآمر بأشياء و أمور أخرى غير مجرد رفاهية المادية.

و أنه على استعداد لان يضحي براحته وسلامته، بل بحياته ذاتها من أجلها. وهذه الأمور تتراوح من المجد الشخصي إلى تحمل مسؤولية توفير الأمن والسعادة المادية والروحية للجماعة التي ينتمي إليها البطل سواء أكانت هذه الجماعة هي الوحدة القبلية الصغيرة أم الأمة أم حتى الجنس البشري ككل[2].

و الأكيد أن لبطل الملحمة صفات تميزه عن غيره من عامة الناس، ولعل أهم صفة يتحلى بها بطل الملاحم هي التحدي لجميع الأخطار التي تعترضه، وإيجاد الحلول في

[1]– أحمد أبو زيد، الملاحم كتاريخ و ثقافة مثال من الهند،الرمايانا،ص12.

[2]– المرجع نفسه، الصفحة نفسها

الأوقات الصعبة. كمثال ذلك أخيل في إلياذة هوميروس الذي تقهقرت جنود اليونان بمجرد إنسحابه ، وإن رجع حتى أصبح النصر حليفهم[1]"

و مما سبق يجدر بنا الحديث عن كيفية تجسيد البطولة في إلياذة الجزائر،هذه الأخيرة التي تزخربعديد من البطولات كيف ولا هي بحد ذاتها ترويبطولات الجزائر وتاريخها الغابر على مر العصور والقرون. وقد تمثلت البطولة في إلياذة الجزائر في بطولة شعب بأكمله و هو بالطبع الشعب الجزائري، الذي وحد جهوده و تمالك قواه من أجل رفع الظلم عن نفسه.

بعد دراستنا للإلياذة وجدنا بأنها حافلة بكم هائل من الأبطال والبطولات،التي أوردها الشاعر في إلياذته ،وإن كانت كذلك سنتطرق لذكر أهمها ومجملها.

يقول في مطلع هذه الأبيات:

وقفنا نحي بها ألف عام	و نقري زيري العظيم للام
فقام بولوغين في عيدنا	يهز الدنا، و يروع الأنام
وسيبوس فاض فتاه دلالا	يعانق زيري المليك الهمام
بلوغين إن صانها فيرموس	وحازتأكوسيوم أقصى المرام
وهب الأمازيغ من دوناطوس	تصول وتزجي الخميس اللهام

[1]– سليمان البستاني،هوميروس الإلياذة، ص32.

فأبناء مازيغ قادوا الفدا وخاضوا المعامع الصدام

وساقوا المقادير طوع خطاهم وشادوا البناء... واقروا النظام[1]

من خلال الأبيات نرى بأن الشاعر إستقى في إلياذته أسماء ثورات ظافرة وشخصيات بارزة من التاريخ الجزائري القديم (زيري ، بولوغين، فيرموس، دو ناطوس...)

و إنما يريد من خلال هذه الأبيات التأكيد على الهوية الوطنية والإنتماء التاريخي و يقول:

دعوا ماسينيسا يردد صدانا ذروه يخلد زكي دمانا

و خلو سفاكس يحكي لروما مدى الدهر كيف كسبنا الرهانا

و كيف غدا ظافرا ماسينيسا بزامة، لم يرضى فيها الهوانا

وكم ساوموه، فثار إباء و أقسم أن لا يعيش جبانا

إلى أن يقول:

فجاء يوغرطا على هديه بحكم الجماهير يفشي الأمانا

وقال:"مدينة روما تباع لمن يشتريها.... فهز الكيانا

ووحد سيرتا بأعطاف كاف و أولى الأمازيغ عزا وشانا[2]

[1]– مفدي زكريا، إلياذة الجزائر ، ص38

[2]– المرجع نفسه،ص 39.

إلى غير ذلك من القبائل والشخصيات التاريخية التي أسهمت في بناء مجد الجزائر منذ التاريخ أمثال:(تكزناس، يوبا الثاني، عقبة بن نافع، يغمراسن....الخ،) فهو من خلال الأبيات يتحدث بفخر و اعتزاز ، فيذكر هذه الشخصيات "ماسينيسا و يوغرطة" وغيرهما من الشخصيات التي لعبت دورا كبيرا في بناء مجد الجزائر.

وتأكيدا من استمرارية النضال الجزائري وتحدي الاستعمار الفرنسي الغاشم ، يستنطق الشاعر التاريخ الجزائرى الحديث ، ليستلهم منه تلك الثورات الشعبية، تحت قيادات أبطال أشاوش لكل من (مقاومة الأمير عبد القادر، ثورة الزعاطشة بقيادة الشهيد عبد الرحمان بن زيان ،ثورة أبي معزة ،وأبي بغلة ، و لالة فاطمة نسومر، وأولاد سيدي الشيخ بقيادة الباشا سليمان بن حمزة بن بوبكر، والمقراني والحداد.... وغيرهم).

يقول مفدي زكريا بمناسبة مبايعة الأمير عبد القادر بالإمارة بمدينة "معسكر" بالغرب الجزائري فيقول :

أيا عبد القادر كنت القديرا وكان النضال طويلا عسيرا

ونظمت جيشا وسست بلادا فكنت الأمير الخبير الخطيرا[1]

ويقول:

معسكر فجر عزم الشباب فطاول عملاقها الأنجما

و بويع شاعرها الهاشمي فكان بها القائدا الملهما[2]

[1]-المرجع السابق ، ص 39

[2]-المرجع نفسه ، ص 39.

ففي هذه الأبيات يتناول الشاعر مبايعة الأمير عبد القادر بمدينة معسكر (بالغرب الجزائري) و هو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره بعد، لما رأوا فيه من شهامة و قوة الشكيمة و الرأي الصائب، لقد قاد الأمير عبد القادر الجزائري المقاومة ضد الإستعمار الفرنسي ثمانية عشرة عاما من 1830 إلى 1848م و حمل خلالها فرنسا مالا تطيق. و أذاق قادتها العذاب المرير، يقول:

و حملت ماريان مالا تطيق و جرعت بيجو العذاب المريرا

ثمان وعشرا...تخوض المنايا و تجزي السرايا وتبني المصيرا

و تدمغ بالعلوم من جادلوك فكنت الضليع، وكانوا الحميرا[1]

ثم ينتقل إلى ذكر بعض القادة الجزائريين حيث يقول فيهم:

تلقف رأيتك ابن الجزائر و عند ابن زيان تبلى السرائر

و هب الزعاطشة الثائرون فهب لنصرتهم كل ثائر

تحدى ابن زيان سخف اللئام فمات الشهيد فداء الجزائر[2]

ابن زيان هو قائد "ثورة الزعاطشة" قرب ولاية بسكرة، و كان يحضر نفسه لكن تفطن الفرنسيين له و قاموا باستدعائه لكي يسجد لهم لكنه رفض وأبى ذلك، فهجموا عليه فردهم خائبين، حيث دامت حربه سنوات إلا أن استشهد هذا البطل، فهو فضل أن يموت

[1]– المرجع السابق ، ص55

[2]– المرجع نفسه، ص56

شهيدا عزيزا مكرما، على ان يعيش ذليلا خاضعا مستكين، مقابل تلك الإغراءات من القادة الفرنسيين مقابل الإبقاء على حياته.

و في أبيات أخرى يقول:

و يذكر أبو معزة الجبال صراع أبي بغلة في المغاور

و تحفظ سطيف لأبطالها وأبطال سرتا جليل المفاخر[1]

أبو معزة و أبي بغلة قائدا الثورات و المعارك البطولية و ما وقع فيها في كل من سطيف و قسنطينة.

ثم يخلد بطولات (لالة فاطمة نسومر) ابنة سيدي محمد بن عيسى شيخ الطريقة الرحمانية، ابنة لالة خديجة حيث كانت لالة فاطمة قائدة للجيش ضد جيش الماريشال "راندون" في جبال جرجرة ، أولا مع زوجها ثم بمفردها. قادت جيشا قوامه سبعة ألاف مجاهد ضد جيش المارشال دون الذي كان يضم خمسة وأربعين ألف مقاتل متوفر على جميع المعدات الحربية الحديثة، وشملت ساحة العمليات كل من جبال جرجرة إلى قمة لالة خديجة التي سميت باسم أمها، و الموقعة الحاسمة كانت في معمعة "اشريضن" في 24 جوان 1857. اعتقلت نسومر في قرية تاكلا يوم 11 جويلية 1957 مع أتباعها إخوان الرحمانية، قائلا:

[1]– المرجع نفسه، ص56.

و تذكر ثورتنا العارمة بطولات، سيدتي فاطمة

نسومر مذنسبوك لتاكلا رفضت التواكل يا فاطمه

يفجر بركانها جرجرا فترجف باريس و العاصمة[1]

و يستمر في ذكر أعمالها البطولية إلى أن يقول:

أتنسى الجزائر حواءها وأمجادها لم تزل قائمة؟[2]

بالإضافة إلى بطولات وأبطال أخر أمثال: (أبو شوشة وابن شهرة والشيخ الحداد والمقراني وأبو مزراق بطوله النجدة والكرم، بطولة الجميلات الثلاث، بطولة علي لابوانت، بطولة الجزائر والجزائريين، بطولة الحيوان....)

سنحاول استعراض ملامح البطولة من خلال بطولة الحيوان ولو في التفاتة بسيطة كونها نوع بطولي غير الذي ذكرناه فيما سبق، يقول:

إذا الشعر خلد أسد الرهان أينسى مغامرة الحيوان؟

أينسى البغال؟ أينسى الحمير و هل ببطولاتها يستهان؟

سلام على البغل يعلو الجبال ثقيلا فيكبره الثقلان

و عاش الحمار يقل السلاح و يغشي المعامع ثبت الجنان

[1]– المرجع السابق، ص57

[2]–المرجع في نفسه.57.

و بارك فأرا يوزع نارا فيخلع بالرعب قلب الجبان

و يلقى الشهادة شهما كريما و قد عاف ذل الشقا و الهوان

و طوبى لعتر يضلل جندا ويخدع أحلاسه بالأمان

وللكلب يهجر طبع النباح و يهوى النميمة بالطيران

فلولاك يا حيوان الفدا لما أحرز الشعب كسب الرهان[1]

من خلال الأبيات نستنتج تعدد ذكر بطولة الحيوان وأنواعها وهذا دلالة على عدم نسيان الشاعر للبطولات الكبرى التي ساهم فيها الحيوان بمختلف أنواعه ودوره إبان الثورة التحريرية الجزائرية وذلك من خلال استفهامه في البيت الأول.

ويقول في بيت آخر:

بذكراك تعتز إلياذتي فأزكى التحيات يا حيوان[2]

من خلال هذا البيت نستنتج مدى إكبار الشاعر للحيوان، من خلال أسلوب مخاطبته وكل تلك الألفاظ تدل على التأدب في المعاملة والتقدير والإكبار للحيوان والرسالة السامية التي يؤديها في الحياة، كما نجد تتابع الأعمال البطولية وحسن التخطيط لها والتحكم في مجريات الأحداث.

[1]– المرجع السابق،81.

[2]– المرجع نفسه، ص81.

كما يتضح أن نظرة الشاعر إلى بطولة الحيوان نظرة إجلال وإكبار، تتجلى من خلال توظيفه لأسلوب التعظيم والتبجيل وقد كان طاغيا في القصيدة باعتباره فاعلا للموضوع وفاعلا للبطولة، وهو باعتباره بؤرة القصيدة. ينطلق الشاعر في رؤيته للحيوان، من رؤية دينية إسلامية ،تدعو إلى الرفق بالحيوان كيف لا وقد «دخلت امراة النار في هرة ربطتها فلا هي أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت» كما ورد في الحديث الشريف.

وما يمكن قوله هو أن مفهوم البطولة لدى مفدي يختلف عن ما عرفت إليه.

3- العنصر الديني:

من بين الخصائص التي تبنى عليها الملاحم العنصر الديني فهو يعد ركيزة جد مهمة في الملحمة كونه يشكل العنصر الأبرز في موضوع الملحمة والعلاقة بينه وبين الملحمة علاقة وطيدة وثقى، كون هذه الأخيرة وليدة التفكير الديني.

وعند حديثنا عن إلياذة الجزائر لمفدي زكرياء نجد بأنها تعكس لنا شعب مسلم بهذا كانت عاكسة لهذا الدين، ويكمن ذلك في امتلاك الشاعر لثقافة انصهرت في شعره ومما لا شك فيه أن الإلياذة تحفل بالدين الإسلامي أيما احتفال، وما من مقطع إلا وفيه من الدين عنصر (معظم المقاطع الشعرية)،إن دل على شيء فإنما يدل على أن شاعر الثورة

التحريرية مفدي زكرياء متشبع بعقيدة أسلافه وعقيدة الإسلام وما هو إلا مرآة عاكسة لثقافة الشاعر الإسلامية الواسعة.

وسنعرض لبعض الأبيات التي تجلى فيها العنصر الديني كقول الشاعر:

و أوقفت ركب الزمان طويلا أسأله عن ثمود و عاد

و عن قصة المجد من عهد نوح و هل إرم هي ذات العماد؟[1]

يتحدث الشاعر من خلال هذه الأبيات عن سيدنا نوح عليه السلام، وقصة عاد وهو رجل من العرب الأولى وسميت باسمه، وثمود قبيلة من العرب البائدة وهم قوم النبي صالح، وإرم قوم منهم عاد، وقيل أنها لشدة ارتكابها للمعاصي، فأهلكها الله. وبحديثه عن الجزائر رجعت به الذاكرة إلى قصة عاد وثمود.

استمد هذه الأبيات من قول الله تعالى: (مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ)،(:سورة غافر،الآية 31)

و قوله أيضا:

وجاءت فرنسا....فكنا كراما وكنا الألى يطعمون الطعاما

فأبطرهم قمحنا الذهبي و كم تبطر الصدفات اللئاما[2]

[1]– مفدي إلياذة الجزائر، ص37.

[2]– المرجع السابق، ص53.

يتحدث الشاعر عن قصة الديون المترتبة على فرنسا من أجل تسديد ثمن القمح معروفا، فضلا عن ديون أخرى نقدا، الأمر الذي جعل منهم طاغين وهذه حقيقة موجودة لدى اللئيم والذي من طبعه إنكار المعروف رغم كرم الجزائر ومواقفها معها.

وهذا مستمد من قوله جل جلاله:(وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِمِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا)،(سورة الإنسان،الآية:8).

وفي بيتين آخرين تحدث فيهما عن الأماكن المقدسة، وأن لوطنه نفس القداسة التي يحظى بها القدس، قائلا:

و في قدس جناتنا الناضرة وجوه إلى ربها ناظره

تمد العز لدين الإله فيصنع جوهر والقاهره

من قوله تعالى:(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ23))،(سورة القيامة، الآية 22.23).

ومن خلال الأبيات الأخيرة تحدث عن المعز وهو تميم بن معد بن منصور رابع الخلفاء الفاطميين، خلف أباه المنصور ووطد أركان الدولة، والمعروف بالمعز لدين الله الفاطمي كما يشير إلى أعمال التي يقوم بها المعز وأبرزها جعل مصر عاصمة للفاطميين.

من خلال ما سبق تبين لنا بأن شخصية مفدي زكرياالمتشربة من منبع الثقافة الإسلامية تتجلى في أبهى صور الاقتباس من القران الكريم، والشعر، والحكم والأمثال. لتعطيالإلياذة

رونقا ومهابة وإضافة جليلة في النظم .لأن القران الكريم يعد «... من أهم مصادر الصورة الشعرية عند مفدي زكريا فقد كان يستقي مشاهده التصويرية والإيقاعية من مشاهد القرآن الكريم وجرس ألفاظه...[1]» .

ولا يتوقف الأمر عند هذا الكم فقط بل نجد كثيرا وكثيرا من الأبيات الشعرية التي يتجلى فيها التأثر بالقرآن الكريم لذا سنحاول جاهدين التوقف عند أهمها،وذلك من خلال جدول للتدليل على مواضع التناص الديني في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا.

الأبيات الشعرية	التناص من الآيات القرآنية الكريمة
ومن فائرين كأعجاز نخل ضمائرهم في المزاد رقيقة	"كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ" (سورة الحاقة آية07)
تسلق إيعكورن واغز السها و طاوليه سيدرة المنتهى (ص32)	"عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ 14عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ15 " (سورة النجم ، آية 14.15)
و سبح لله ما في السماوات و الأرض ملء شفيق شفا. (ص34)	"سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَالْعَزِيزُالْحَكِيمُ**(سورة الحشر، الآية 01)**
و أخرجت الأرض أثقالها فطار بها العلم نحو	إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ

[1]– سمير نور الدين،دردور ، ملحمة الجزائر ،ص20.

الخيال (ص36)	أَثْقَالَهَا(سورة الزلزلة، الآية 01.02)
تلقف رآيتك ابن الجزائر و عند ابن زيان يبلى السرائر (ص56)	" وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ" (سورة الأعراف، الآية117)
تقدس واديك منبع عزي و مسقط رأسي، وإلهام حسي (ص35)	" إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (سورة طه، الآية12)
و تهدي النفوس الصراط السوي و تغرس فيها معاني الإباء (ص62)	" اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (سورة الفاتحة، الآية 6)
تأذن ربك ليلة القدر وألقي الستار على ألف شهر (ص 69)	" إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (سورة القدر، 1.2.3)
تبارك شعب تحدى العنادا فقام و أضرب سبعا شداد (ص 77)	" وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا " (سورة النبأ، الآية 12)
يجادل في الحق بالشبهات وإن حصحص الحق جاء بإفك (ص 100)	" قالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ" (سورة يوسف، الآية 51)

كما نلاحظ أن الإلياذة زاخرة بالألفاظ الدينية فلم يتأثر مفدي بالقرآن الكريم فحسب، بل وتأثر بالحديث النبوي الشريف، وتمثل ذلك لفظا ومعنى من باب الاقتباس والتضمين، وقد ظهر ذلك في جميع المواضيع وجل المقاطع كما ذكرنا سابقا، أما الألفاظ الدينية فقد جاءت موزعة على مقاطع الإلياذة وهي ألفاظ كلها مستوحاة من تعاليم الإسلام، مثل ذلك في قوله :

فلولا جمالك ما صح **ديني** وما أن عرفت الطريق **لربي**

و في منطلق العقيدة التي قال عنها مفدي زكريا:

شربت **العقيدة** حتى الثمالة **وجهي فأسلمت لرب الجلالة** (ص89)

ولولا **العقيدة** تغمر قلبي لما كنت **أؤمن** إلا بشعبي(ص21)

وأنت **الجنان** الذي وعدوا وإن شغلونا بطيب المنى(ص22)

وعلمت **آدم** حب أخيه عساه يسير على هدينا(ص22)

وإيمان قلبي **وخالص ديني** و مبناه في ملتي و اعتقادي(ص37)

إذا عرب الدين أصلابنا فمازال **أحمد** صهرا **لعيسى**(ص42)

وديري الذي كنت **أتلو** به **صلاتي** مع الليل سرا وجهرا(ص25)

كان **الاله** الجميل تجلى فأغرق بأيام حسنا و **أوحى**(ص26)

كانت مقتضيات العقيدة الإسلامية حاضرة بقوة في شعره فها هو يربط بين جمال أرض الجزائر الخلاب وبين الاتحاد الذي يتركه هذا التفكر في الجمال من إيمان واعتقاد وتجلي في النفس تسليما جازما بالربوبية والإهتداء إلى سواء السبيل. كما ذكر أسماء بعض الأنبياء والرسل نذكر منهم: رسول البشرية محمد صلى الله عليه وسلم النبي، عيسى عليه السلام، نوح عليه السلام وآدم أبو البشرية ،وحواء أم البشرية....

يقول في إحدى مقطوعاته من الإلياذة:

أولئك آباؤنا منذ عيسى وكان محمدا صهرا لعيسى

ولاح الصباح فهز السكارى و أجلى الندامى وردا الكؤوسا

وأيقظ حلم الليالي الحبالى و أسرح في الكائنات الشموسا

وأهوى على البغي، يذرو الجذوع و يغرس في الجبروت الفؤوسا

وحذر آدم ظلم أخيه وسوى الحظوظ و أعلى الرؤوسا

وأخرج حواء من رمسها فألمت الروح هذي الرموسا(ص42)

ولعل شاعر الثورة التحريرية يأتي في طليعة الشعراء الذين وجدوا في لغة القرآن وألفاظه وتعابيره سلاحا في ثورة الشعر.

حيث أن إلياذة الجزائر كغيرها لابد أن تصور لنا الدين الذي ينتمي إليه الشاعر لذا فإن العنصر الديني، "هو من الركائز الأساسية المعتمدة في إلياذة الجزائر، وإن كان الدين في إلياذة هوميروس متمثلا في تعدد الألهة ففي إلياذة مفدي زكريا تشيع الروح الاسلامية التوحيدية وتجلجل في طياتها أسماء الله الحسنى[1]."

4- الموضوعية:

و قد تجسدت بصورة عامة في الإلياذة حيث تناول مفدي زكريا في موضوع إلياذة الجزائر تاريخ جهاد الجزائر، ونضال أبطالها عبر القرون من أجل تحقيق الحرية والسيادة الوطنية، حيث تناول أحداث واقعية ليست من صنع الخيال ،كما عرض الأعمال الجليلة لكثير من الأبطال على إختلاف ما قاموا به من عظيم الأعمال.

إن مفدي زكريا رغم شطحاته الشعرية المعروفة عنه،إلى أنه كان موضوعيا في طرحه للأحداث التاريخية ،دون تشويه أو زيادةأو نقصان.

فرغم إلمامه بالتاريخ الجزائري إلا انه كان يرجع في الكثير من الأحيان إلى المؤرخ التونسي عثمان الكعاك ،والمؤرخ الجزائري مولود قاسم نايت بلقاسم،لذا حاول قدر الإمكان الإبتعاد عن الأساطير والخرافات ،والشخصيات الوهمية، والمغالاة في طرح وسرد الأحداث حيث قال:

[1]- نور الهدى لوشن، وقفة مع الأدب الملحمي، ص57.

هوميروس أرخ... لم ينتقد و شهنامة الفرس بالوصف تغلو

فقلت: وشعر الخرافات يفنى و شعر البطولات لا يضمحل[1]

ومفدي حينما يتحدث عن الثورة ضد الفرنسيين لا يأنف أن يقول:

بلى...يا فرنسيس هذا الحمى صنعنا سيادته بالدما

بلونا السنين الطوال جهادا تباركنا معجزات السما

مضت مائة وثلاثون عاما نذوذ ونأنف أن نهزما

صعدنا نقاوم شرقا وغربا ونجعل أرواحنا سلما[2]

فهو هنا يتحدث بكل موضوعية عن حقائق تاريخية حاصلة يعرفها العدو قبل الصديق.

ونجده عندما يتحدث عن جمعية العلماء المسلمين، ودورها في النهضة بالبلاد، يقول:

وفي الدار جمعية العلماء تغذي العقول بوحي السماء

وتهدي النفوس الصراط السوي وتغرس فيها معاني الإباء

تواكب نجد الشمال اندفاعها و تغمر أكوانه بالسناء

[1]– مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص116.

[2]–المرجع نفسه،ص54.

ويعضد باريس فيها البشير فتزخر بالخلص الأصفياء

وتغزو الضلالات في التائهين مع الوهم، في موكب الأغبياء

وترسي جذور الأصالة في الشعب تمحو بها وصمة الدخلاء

وتبنى المدارس عرض البلاد فيعلي ابن باديس صرح البناء[1]

فكل هذه الأعمال هي في الواقع من صلب أهداف جمعية العلماء المسلمين فقد دعت إلى التربية والتعليم والإصلاح، اهتمت بتربية النشء، فتحت المدارس في ربوع البلاد وأعدت الرجال ليحملوا المشعل في المستقبل، شجعت على التعليم ونبذ الجهل، وأنشأت الصحف والمجلات ،إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة.

فمفدي زكريا لم يزد عن الأدوار التي لعبتها جمعية علماء المسلمين ،ولا في تناوله لأحداث أخرى خوفا من السقوط في الأخطاء التاريخية.

لذا فإن عنصر الموضوعية لم يكن مطبقا من بداية الإلياذة إلى نهايتها،إذ نسجل بعض التدخلات من طرف الشاعر ليتكلم عن نفسه[2].

نعم فذاتية الشاعر موجودة بالإلزام في عمله هنا، ذلك أن الذات الفردية دخلت مع الذات الجماعية، لذا نجد ذاتيته في أكثر من موضع.

فيقول على سبيل المثال في وصف عشقه للجزائر:

[1]– المرجع السابق، ص62.

[2]– نور الهدى لوشن، وقفة مع الأدب الملحمي، ص56.

فيا أيها الناس.. هذي بلادي و معبد حبي وحلم فؤادي

وإيمان قلبي وخالص ديني و مبناه في ملتي واعتقادي

بلادي أحبك فوق الظنون وأشدو بحبك في كل نادي

عشقت لأجلك كل جميل و همت لأجلك في كل وادي

ومن هام فيك أحب الجمال و إن لامه الغشم قال: بلادي[1]

و من المواضع التي برزت فيها الذات الفردية لمفدي زكريا ،حينما نجده يعلن عن توبته متقربا لله عزوجل بإلياذته لتكفر عنه ذنوبه، حيث قال:

فيارب قد أغرقتني ذنوبي و أنت العليم بما في الغيوب

أتوب اليك بإلياذتي عساها تكفر كل ذنوبي

عصيتك علما بأنك تعفو على المسرفين فهانت خطوبي

ولولا صفاتك:رب غفور رحيم لضاقت علي دروبي[2]

ولعل مرد هذا هو معايشته اليومية لأحداث الجزائر، وتأثره بقضاياها المختلفة، فالشاعر إذن ينقل واقعا معلوما وتاريخا من البطولات حاصلا ليس من وحي الخيال والأساطير،

[1]– المرجع السابق، ص37.

[2]– المرجع نفسه، ص 114.

وقد ذكر الأبطال والحوادث ولولا تدخل ذاتيته من حين لآخر لكانت الإلياذة أكثر موضوعية، تسرد بطولات الذات الجماعية.

5- الخوارق:

تعد الخوارق أهم عنصر في الملحمة منذ بداية نشأتها، حيث أنها من ركائز الملحمة ويلجأ الشاعر إلى الخوارق لأنها المادة التي تصنع منها الملحمة ،هذا لا يعني أن الملحمة الجنوح إلى الخيال والمضي نحو الأفعال والأمور الخارقة للعادة ،بل هي تفسير الواقع من خلال الخيال حيث يبحر الشاعر بخياله في تفسير الواقع ،ولعل هذه الخاصية جلية في الشعر المعاصر حيث يلجأ إليها الشعراء ويعتبرونها مطية للهروب من المتابعة السياسية وغيرها،لكن في البدايات الأولى للملحمة كان الإنسان البدائي يستخدمها في تفسير أي ظاهرة كونية تفسيرا يقوم على الأساطير والخوارق، وذلك لعجزه على إيراد تفسير علمي كما هو الحال حاليا. فهل تحقق هذا العنصر في الإلياذة أم لا؟

لم يكن عنصر الخوارق حاضرا في إلياذة الجزائر والسبب في ذلك أن هناك فروق بين العصور فهذا العصر يختلف عن العصر الذي ظهر فيه فن الملحمة، وبعض الخصائص لم يعد لها مسببات و عوامل تستدعيها، ولكن يوجد عنصر آخر بديل متوفر في الملحمة هي الأعمال المجيدة والأعمال الخالدة، التي نشأت في أحضان ديانة مخالفة وهي الدين الإسلامي ،تتمثل في الإشادات بأعمال الأنبياء والرسل ثم تليها القادة الذين كان لهم أفعال أشاد بها الشاعر فنجده يثني على الأمازيغ في قوله:

سلوطبرية يذكر تبيريو س تكفر ناس يوالي الهجوما

ثمان سنوات يصارع روما فدق المسامير في نعش روما

سلوا بربروس يجيبكم فراكسن من جرجرا كيف أجلى الغيوما[1]

يتحدث هنا عن تكفرناس الذي انتصر على باني طبرية تبيريوس، ودامت حريه ثمانية سنوات، ثم يمجد فراكس الذي أذاب جيوش الإمبراطور الروماني بربوس، جيش تلو الأخر حتى ضاقت روما بذلك.

ومن جهة أخرى إذ لا نلمس هذا العنصر كطابع عام في إلياذة الجزائر، وذلك لالتزامها الدقة التاريخية وحتى خوارق الأعمال التي يقوم بها الأبطال والمجسدة في الوصف الطبيعي لا تخرج عن حرفية التاريخ ولا عن التخطيط الجغرافي، أما الخوارق المعهودة في الأعمال الملحمية فلا نكاد نعثر عليها إلا في إشارات عابرة[2].

ولعل من بين الإشارات التي تتجسد فيها الخوارق قول مفدي زكرياعن مدينة المدية حيث يقول:

وكاد ابن توجين وابن مرين بنار المدية أن يحرقا

ملائكة الله.. هل نقلوها أجل من رأى حسنها صدقا[3]

[1]– المرجع السابق، ص40.

[2]– نور الهدى لوشن، وقفة مع الأدب الملحمي، ص57.

[3]– المرجع السابق، ص47.

وذلك أن بعضهم من زعم أن المدية أو المهدية، بنيت في مكان آخر، ثم نقلتها الملائكة إلى مكانها الحالي.

ونجد مثل هذه الإشارة الى الخوارق أيضا في قول مفدي زكريا أثناء حديثه عن مدينة تلمسان، واعجابه الشديد بها، حيث يتساءل:

أفي رفرف الخلد؟ قد وجدوا تلمسان..فاختطفوها اختطافا؟[1]

وكأن تلمسان هذه كانت قطعة من جنان الخلد، لكن اختطفت ووضعت بالغرب الجزائري جنة للناظرين، وحجة للمكذبين.

6- الخرافات و الأساطير:

لقد غدت الخرافة واقع والأسطورة حلمموقع عاشته أمة بين الأمم التي تبدو صغيرة حضاريا، طعمت ثوراتها بملايين الشهداء لصنع هذا المصير البعيد عن الأسطورة والخرافة. القريب من الواقع المؤكد تاريخيا[2].

ونظرا لمدى أهمية الخرافات والأساطير بالنسبة للملاحم، والتي لها الدور الفعال في صناعة الملاحم لاسيما الكلاسيكية منها، فهي تمنحها أبعادا مزودة بطاقات حية ممزوجة بالخيال والإبداع ."فالعنصر الخرافي يمكن أن يكشف لنا عن جوانب جديدة في أسلوب وطريقة تفكير تلك الشعوب ،أثناء الحقبة التي تم فيها تأليف الملحمة، وعن بعض القيم

[1]- المرجع نفسه، ص51.

[2]- الطاهر بلحيا، تأملات في إلياذة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية الجزائر، 2007، ص 121.

السائدة، عندهم وذلك على اعتبار أن هذه العناصر الخرافية أو المتخيلة هي ترجمة لتلك القيم والمبادئ والتصورات الذهنية الجمعية، بل قد تكون إسقاطات لبعض الرغبات الكامنة المكبوتة لدى أعضاء المجتمع"[1].

ونظر لمدى أهمية الخرافات والأساطير بالنسبة للملاحم،"تكاد كل الملاحم أن يكون فيها عنصر خرافي أو أسطوري،أو غير حقيقي على الأقل تقدير، ولكن لا ينبغي أن يكون ذلك سببا في التشكك في صدق وواقعية كل الأحداث التي يرد ذكرها في الملحمة."[2]

غير أنه في إلياذة الجزائر نجد استحضار لبعض الأساطير وإن كانت قليلة نذكرها في قول الشاعر:

و قالمة تزهو بحمامها يهدهد معسول أحلامها

يشيع البخار تباريحها ويشكو مواجع آلامها

و يرجف بركانها ساخطا فيمسخ صناع أثامها

فيالك أسطورة لم تزل نسير على هدي إلهامها(ص73)

تشير الأبيات الشعرية إلى أسطورة "حمام المسخوطين بقالمة" وهي أسطورة متواترة جيلا عن جيل، تروي أن قرانا وقع في إحدى القبائل المجاورة للحمام زفت فيه أخت لشقيقها وأقيم حفل الزفاف بالحمام المذكور في جمع حاشد يترأسه القاضي الذي حرر عقد النكاح

[1]–أحمد أبو زيد، الملاحم كتاريخ و ثقافة مثال عن الهند، الرمايانا، ص13.

[2]–المرجع نفسه، ص13.

وسط عدوله وأعوانه، فسخط الله عليهم ومسخهم أحجارا على أشكال آدمية. وانطلقا من الإيمان بهذه الأسطورة جاء سخط سكان ڤالمة وضواحيها على كل باغ ومنتهك للحرمات.

كما وجب تنويه أنه "كان للعرب عقائد وأساطير شبيهة بما عرف عند غيرهم من الشعوب في فجر تاريخها"[1].

لقد وظف مفدي زكريا الخرافات والأساطير، في" ملحمة الجزائر لكن رغم ذلك فإننا نسجل ابتعادها الكلي والنهائي عن هذه الأساطير والخرافات ،بل نجد استحضار للتاريخ وتمثلا لما قاله المؤرخون[2]."

إضافة إلى أن لمفدي زكريا مخيلة لا تستطيع أن تزيف الأحداث التي لا يعرف عنها الكثير ،وهذا يدل على أنه رجل ثقة تاريخية. فمن حيث "البعد الفني فيتمثل في كون الرجل قد أضاف شيئا جديدا لفن الملحمة ويتمثل في إلغاء جانبي الأسطورة والخرافة من قاموس الملحمة، وهو بعد جزائري إضافة إلى سجل فن الملحمة[3]."

في الملاحم سابقا، فهو مفهوم متطور، لم تتوقف على القوى الجسدية فحسب، بل تعدت إلى العديد من الصفات المعنوية، وبهذا تكون جانب آخر أو بطولة بمنظور مخالف

[1]– محمد عبد السلام كفافي، في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب و الشعر القصصي، ص267.

[2]– الطاهر بلحيا، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، ص121.

[3]– المرجع نفسه، ص122.

بطولة تقوم على الفطنة والذكاء، النبل والوفاء، الحرب والشجاعة، الصراع والبطولة، وجعل الأولوية للوطن قولا وفعلا.

كيف لا و"قد تمثلت في الإلياذة أحسن تمثيل وهي بطولة متطورة تساير مقتضى الحال ،بالإضافة إلى أنها بطولة جماعية لا فردية"[1].

توقفنا من خلالها عند أهم الملامح الملحمية البطولية ولو تناولنا منها القليل، فهي واقع مسيرة تاريخية تحكي بطولات أمة مجاهدة وتصويرا لأحداث تاريخية بعيدة عن الخيال والأسطورة التي كانت ركيزة الكثير من الملاحم السابقة كإلياذة هوميروس وشهنامة الفرس، كقول مفدي زكريا:

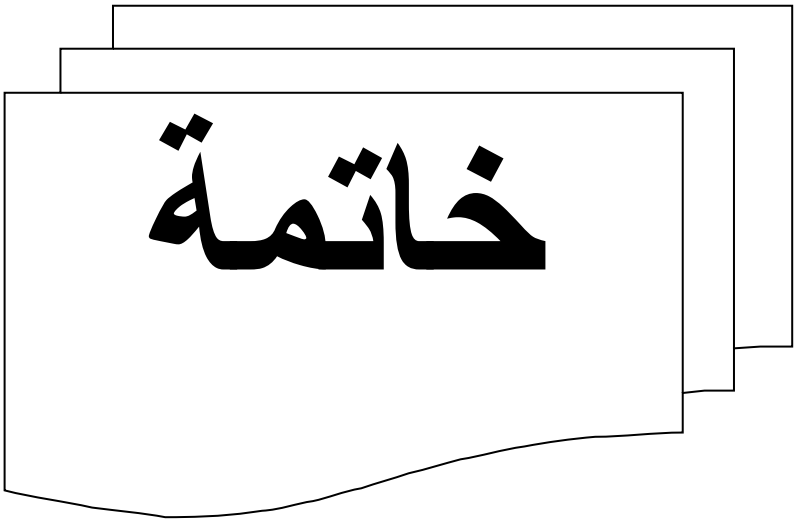
و قالو انحرفت بإلياذة تلوم الشباب ومثلك يعلو

هوميروس أرخ ولم ينتقد وشهنامة الفرس بالوصف تغلو

فقلت: وشعر الخرافات يفنى وشعر البطولات لا يضمحل[2]

[1]– نور الهدى لوشن، وقفة مع الأدب الملحمي، ص57.

[2]– مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص116.


خاتمة

خاتمة :

وفي الأخير نورد مجموعة من النتائج التي تم التوصل إليها في هذا البحث :

_ شهد الشعر الجزائري الحديث فترات قوة وازدهار تارة ،وفترات ضعف وتراجع وذلك يعود إلى الظروف التي أحاطت به .

_ ساهمت عدة عوامل في تطور الشعر الجزائري الحديث تمثلت في جهود الشعراء الذين حاولوا النهوض بالأدب وتطويره ، ومن بين المهتمين " أبو القاسم سعد الله " .

_ وفدت على الساحة الأدبية العربية فكرية تبناها الشعراء الجزائريون وتأثروا بها،فظهرت اتجاهات في الشعر الجزائري كالإتجاه الإصلاحي والوجداني والثوري .

–الملحمة هي شعر يتناول بطولات أمة أوشعب،فيروي أخبارها ويصف معاركها ، وما عاشه من معجزات وخوارق .

_الشعر الملحمي شعر قصصي يتناول بأسلوب روائي موضوع البطولة وسير الأبطال .

_ العرب لم يعرفوا الشعر الملحمي كما عرفه الأوروبيون والإغريق إلا في العصر الحديث ، كإلياذة هوميروس ترجمة سليمان البستاني .

_ لم يصل العرب ما يمثل هذا اللون من الشعر العربي القديم،وخلوه يعود إلى ركائز الشعر الملحمي ذاته .

_لم تكن هناك ملامح قديمة عند العرب القدامى ، بل كان لديهم شعر ذو ملامح ملحمية ،واستشهدنا بسيفيات المتنبي ومعلقات عنترة ابن شداد ،بالإضافة إلى بائية أبي تمام التي كادت أن تكون ملحمة، وغيرها التي تحمل نفسا ملحميا .

_ الملحمة كغيرها من الفنون لإكتمالها لابد من عناصر تتكئ عليها كالبطولة والعنصر الديني ، الخوارق ، الأساطير ، والخرافات .

_ لقد تجسدت البطولة في الإلياذة ، وهي بطولة متطورة ، بالإضافة إلى أنها بطولة جماعية وفردية ، صورت أبرز الوقائع التاريخية والثورات .

_يعد العنصر الديني من الركائز الأساسية المعتمدة في إلياذة الجزائر، التي تشبع بها الشاعر بالروح الإسلامية التوحيدية ، وذلك يظهر جليا فيها .

_ يتمتع الشاعر بثقافة إسلامية واسعة ،سمحت له بربط الأحداث التاريخية ، ومكنته من امتلاك معجم شعري ، فقد استمد من القرآن الكريم ألفاظ كثيرة واقتباسات من آيات قرآنية .

-ولعل التناص القرآني هو من أعطى الإلياذة بعدا جماليا ونسقا إبداعيا مميزا،تجلت فيه أعظم الدلالات القرآنية ،والتعاليم السمحة للإسلام وهذا راجع لتأثر مفدي زكريا بأسلوب القرآن الكريم والسيرة النبوية.

هيمنت لفظة الجزائر على بنية الإلياذة من بدايتها إلى نهايتها نظرا لمكانتها الخاصة التي تجسدت موضوعيا في الأبيات الشعرية ، و إصرار الشاعر على جعل الجزائر رمزا ملحميا ، وذلك بعد التغني بجمالها.

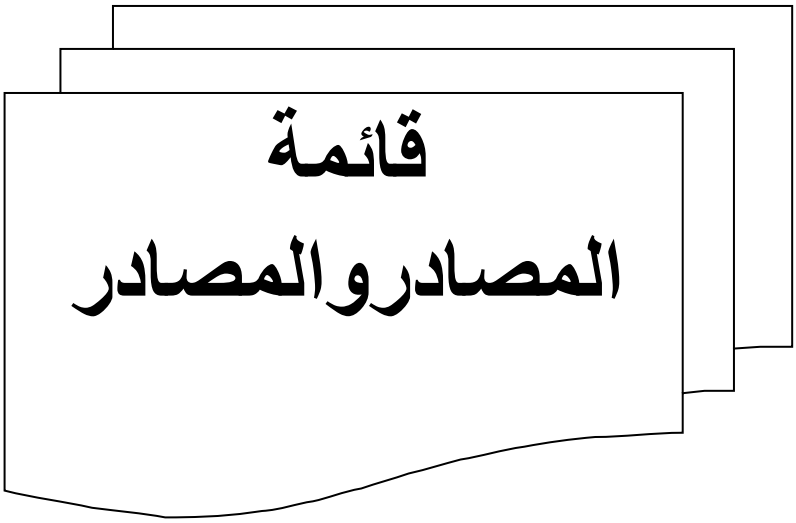
_أما الملفت للنظر هو عدم احتفاء الإلياذة بالخوارق والخرافات والأساطير ، شأنها شأن الملاحم المعاصرة .

_ اختلج ترتيب الأبيات الشعرية ذكر للمحطات التاريخية التي شهدتها بطولات الشعب الجزائري ، كما استطاع الشاعر استنطاق التاريخ الجزائري قديمه وحديثه .

_استخدم الشاعر الطابع الملحمي وهو طابع خاص بشعره ، يعبر به عن أفكاره وآرائه ، وهذا ينعكس من خلال أعماله الأدبية والوطنية والثورية والإنسانية . و ديوان شعر وأمة يحتفظ للأجيال يصور التاريخ العريق .

التاريخ هو الأهم ، والبداية والنهاية ، وبيت القصيد والزبدة من كل ثقافة ليس فقط للتعريف بالأمجاد والأنجاد وليس فقط لاستخلاص التجارب ، ولكن أيضا لغرس الإعتداد بالنفس،وتعميق الوعي بالذات وتوطيد الإعتزاز بالوطن . فشاعرنا الكبير لن تفيه الدراسات المختلفة بحقه لما قدمه لهذا الوطن الغالي،فما أحب عربي ولا أجنبي بلده ، كما أحب مفدي زكريا الجزائروماكتب سطر من الشعر في حب الوطن كما كتب مفدي أشطارا في حب الجزائر،كيف ولا فهو يقول : " وعسى أن أكون بهذا قد أرضيت ضميري وثورة بلادي ،وعروبتي وأهبت لنجده ثورة العرب في الجزائر بكل من تيقظ فيه ضمير " .

هذا هو مغزى إلياذة الجزائر ، وهذه هي الإلياذة الخالدة وشهادة ميلادها ،ورحم الله مفدي زكريا الفدائي شاعر الفداء ورحم الله جميع شهدائنا الأبرار وأبطالنا عبر العصور ، وفي مختلف الربوع .


قائمة
المصادر والمصادر

المصادر :

1-القرآن الكريم

2-مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، د ط ، الجزائر ،1987.

المراجع

3-إبراهيم فتحي ، معجم المصطلحات الأدبية ، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر، صفاقس ،الجمهورية التونسية ، 1986ص216.

4-أبو القاسم سعد الله ، دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب (الجزائر)،ط 5، 2007،

5-أحمد أبو زيد ، الملاحم كتاريخ وثقافة مثال من الهند –الرمايانا ، مجلة عالم الفكر ،

6-أسماء شمس الدين . محاضرة في شعر المتبني ، الأدب العربي في عصر الدويلات والإمارات ، مارس 2020،.

7-أمين الخوري ، ديوان عنترة ، بيروت ،

8-جبور عبد النور، المعجم الأدبي،

9-جورج غريب ، الشعر الملحمي تاريخه وأعلامه ابن كلثوم ، ابن حلزة ، ابن شداد ، دار الثقافة ، لبنان بيروت ،

10-حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 2005م ،

11-الخطيب التبريزي، شرح ديوان أبي تمام ، دار الكتاب العربي ، الجزء الأول ، ط1(بيروت) ، 1994م،

12-د.حسام الضيقة ، مجلة المنهاج ، 17 ديسمبر 2015 ،

13-د.محمد التونجي ، المعجم المفصل في الأدب ، دار الكتب العلمية بيروت ، (لبنان) ، ج2، ط1999،2،

14-د.ممدوح أبو الوي ، مجلة مجمع اللغة العربية ، بدمشق ، المجلد 81 ، ج2 ،.

15-سليمان البستاني ، هوميروس الإلياذة ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ، سمير نور الدين دردور، ملحمة الجزائر،

16-الطاهر بلحيا، تأملات في إلياذة الجزائر، عاصمة الثقافة العربية الجزائر، 2007،

17-الطاهر يحياوي ، تشكلات الشعر الجزائري الحديث ، دار الاوطان ، الجزائر ، ط1، 2013،

18-عبد العزيز شرف ، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر ، دار الجيل (بيروت)ط1،199

19-عبد الله ركيبي ، دراسات في الشعر الجزائري ، الدار القومية للطباعة والنشر ، دط ، د ت ،

20-عبد الملك مرتاض، معجم الشعراءالجزائريين في القرن العشرين،.

21-عبد النور جبور ، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ، ط1 ، 1979،

22–عثمان بدري، دراسات تطبيقية في الشعر العربي نحو تأصيل منهج في النقد التطبيقي، منشورات ثالة. الأبيار–الجزائر– 2009،.

23–فيصل الأشمر، مقال حول الشاعر بولس سلامة وملحمة عبد الغدير،

24–كتاب أرسطو ، فن الشعر ، ترجمة وتقديم وتعليق ،د.ابراهيم حمادة ، مكتبة الأنجلو المصرية ،

25–اللغة العربية الأدب والبلاغة خاص بالفرعين : الأدبي والشرعي ، الطبعة الأولى 2020 ، (فلسطين)،

26–المتنبي ، الديوان , دار بيروت للطباعة والنشر ، و، ط، 1983م

27–محمد بوزواوي ، الأدب العربي (تطور الأغراض الشعرية والفنون النثرية).، السنة الثالثة ثانوي ، دار البشير الابراهيمي للكتاب ، الجزائر ،ص 137.

28–محمد عبد السلام كفافي ، في الأدب المقارن دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1972،

29–محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 9، أكتوبر 2008م

30–محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار النهضة ، مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1997،

31-محمد مرابط سعيدة ،، بن قاقة الياقوت ، الحس الثوري في شعر مفدي زكرياء ، مذكرة التخرج لنيل شهادة الليسانس ، قسم اللغة والأدب العربي ، جامعة البويرة ، السنة الجامعية 2010-2011،

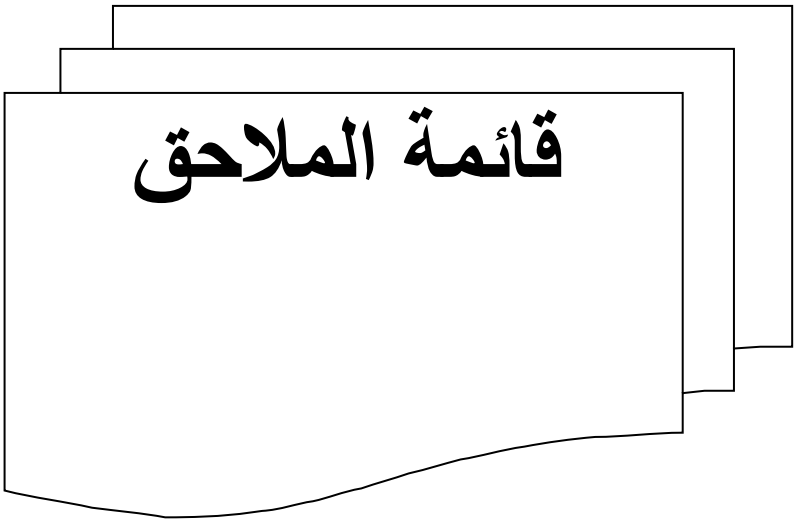
32-محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، دار المتصدر ، الجزائر ،ط3 ، 2013

33-مفدي زكريا ، اللهب المقدس ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1983،

34-نور الهدى لوشن ، وقفة مع الأدب الملحمي ،

المواقع الالكترونية :

35-https// : www .aljazeera .net



قائمة الملاحق

الملحق:

كاتب الإلياذة مفدي زكريا:

شاعر ومناضل جزائري كرس شعره لقضايا وطنه فعرف بشاعر الثورة الجزائرية، خلد تاريخ

بلده في إلياذة الجزائر التي بلغت ألف بيت من الشعر، أصدر عددا من الدواوين وكتب كلمات النشيد الجزائري الوطني[1].

ولد الشيخ زكريا بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى المعروف بمفدي زكريا،يوم الجمعة 12 يونيو 1908 الموافق 12 جمادى الأولى 1326هـ، ببني يزقن ولاية غرداية بالجزائر. نشأ في عائلة جزائرية محافظة أصلها من الأبيض سيدي الشيخ –غرب ولاية البيض– دخل الكتاتيب وتعلم القرآن الكريم ،وأساسيات اللغة العربية[2].

كان مفدي زكريا أنيقا جدا بحيث لا تراه إلا وهو يرتدي بذلة أوروبية فاخرة ،بربطة عنق وقميص يتوجان معها في اللون[3].

لقبه زميل البعثة الميزابية والدراسة الأستاذ سليمان بوجناح بمفدي فأصبح لقبه الأدبي مفدي زكريا ،استعار في بداية مشواره الأدبي أسماء أدبية مختلفة: أبي فراس، ابن تومرت، فتى المغرب،...

---

[1]- https// : www .aljazeera .net

[2]_ سمير نوردين دردور، ملحمة الجزائر، ص13.

[3]_عبد الملك مرتاض، معجم الشعراءالجزائريين في القرن العشرين، ص432.

تنقل رفقه أسرته إلى مدينة عنابة، ثم رحل إلى تونس وأكمل دراسته بمدرسة السلام و المدرسة الخلدونية ومدرسة العطارين ،ثم الزيتونة التي نال بها شهادة التأهيل وعاد بعد ذلك إلى الجزائر وكان له دور كبير في إثراء المشهد الأدبي والسياسي ،انخرط في صفوف الشبيبة الدستورية التونسية ثم انضم إلى الحركة الوطنية الجزائرية و ناضل بداية من الثلاثينيات في صفوف جمعية "طلبة شمال إفريقيا المسلمين" ،"ونجم شمال إفريقيا" و "حزب الشعب"، و"الانتصار للحريات الديمقراطية"، ثم "جبهة التحرير الوطني".

تعرف على العديد من الشخصيات الوطنية و العربية عندما كان مقيما بتونس، لازم أبا العربي الكبادي، ورمضان حمود، وأبا القاسم الشابي.

وظف مفدي زكرياء في المجال الإعلامي رصيده الثوري عندما تولى رئاسة تحرير جريدة "الشعب" لسان حال حزب الشعب 1937م

سجن عدة مرات بسجن بربروس (سركاجي)، وبعد قضائه مدة ثلاث سنوات فرإلى المغرب، ثم إلى تونس ،وأصبح سفيرا للقضية الجزائرية، ساهم في تحرير جريدة المجاهد إلى غاية الإستقلال وكانت له إسهامات عبر العديد من المقاولات القيمة في صحف وجرائد عربية رائدة ،منهما "جريدة الأخبار" و"الصواب" التونسيتان ،و"اللواء" المصرية.

بعد ما كتب النشيد الرسميفداء الجزائر ،ونظم النشيد الوطني للجمهورية الجزائرية قسما الذي لحّنه الأستاذ محمد فوزي ،كتب مفدي زكريا " إلياذة الجزائر" ، استطاع بكتاباته

وأشعاره ونضاله السياسي والثقافي أن يعرف بقضية شعبه في العالم العربي ،ويدعو إلى الوحدة العربية في مواجهة القوى الاستعمارية[1].

له العديد من المؤلفات اخص منها: "تحت ظلال الزيتون" (ديوان شعر)، صدرتطبعته الأولى عام 1966) ،"اللهب المقدس" (ديوان شعر)، صدر في الجزائر عام 1961م، صدرت طبعته الأولى في عام 1973) ،"ومن وحي الأطلس"(ديوان شعر)1976 ، وله عدد من القصائد الشعرية الوطنية:

- من جبالنا طلع صوت الأحرار سنة 1932.
- فداء الجزائر روحي ومالي سنة 1936.
- اعصفي يا رياح، ونشيد جيش التحرير الوطني، ونشيد العمال، ونشيد الطلبة.
- وقد كان لمؤسسة مفدي زكرياء بولاية غرداية فضل جمع التراث الفكري والأدبي للشاعر.

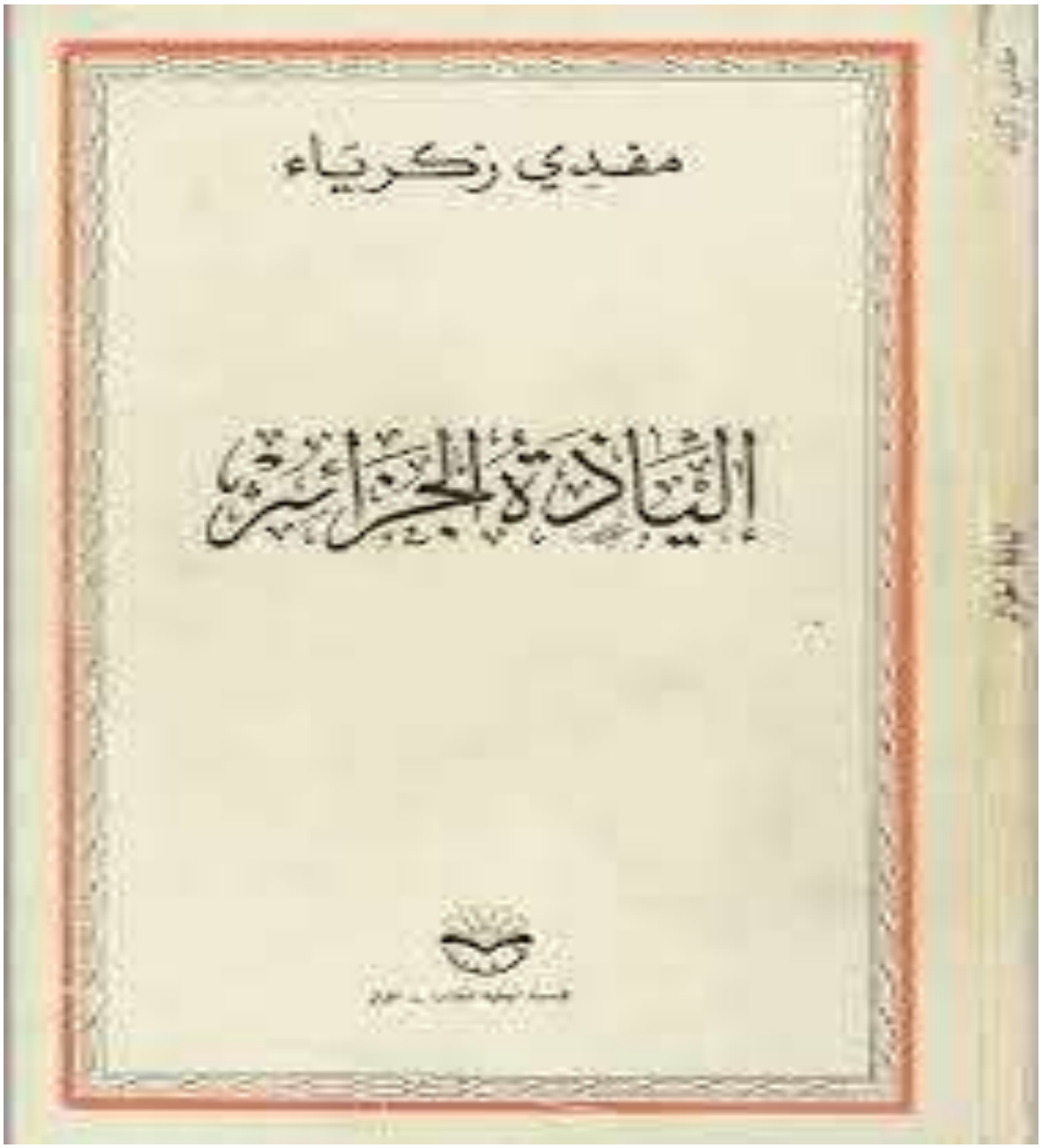
نال مفدي العديد من الاستحقاقات والتشريفات من بينها:

- وسام المقاوم من رئيس الجمهورية الشاذلي بن جديد في سنه 1987م.
- وسام الأثير من مصحف الإستحقاق الوطني من رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة سنه 1999م.
- وسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الأولى من عامل المملكة المغربية سنه 1961.
- وسام الاستحقاق الثقافي من الحبيب بورقيبة، رئيس الجمهورية التونسية.

[1]– سمير نور الدين دردور، ملحمة الجزائر، ص13،14.

توفي الشاعر مفدي زكريا –رحمه الله– يوم الأربعاء 17 أغسطس 1977م، الموافق ل 2رمضان 1397هـ بتونس،ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن بمسقط رأسه في بني يزقن بغرداية بعد عطاء ثري ونضال وفي[1].

[1]– المرجع السابق، ص14، ص15.


مفدي زكريا
إلياذة الجزائر

ملخص

تتناول هذه الدراسة إلياذة الجزائر دراسة تحليلية فنية لصاحبها الشاعر مفدي زكريا ، وهي دراسة تاريخية جمالية فنية ، تلقي الضوء على منظومة شعرية عربية جزائرية تروي بتاريخ الجزائر من القرن الثاني قبل الميلاد الى سبعينيات القرن العشرين ، كما تركز على التعريف بهذا الشعر الملحمي وبصاحبه ، وباسهاماته الأدبية شعرا ونثرا ، ومحاولة تسليط الضوء على القيمة الفنية التي تتميز بها الإلياذة ، من استحضار للعناصر الملحمية من بطولات وطوارق و أساطير وخرافات ، وعنصر ديني وموضوعية ، ورموز ملحمية ، إضافة الى الجانب الموضوعي المتعلق بتاريخ الجزائر

الكلمات المفتاحية :الإلياذة ، الشعر الملحمي ، العناصر الملحمية

Summary:

This study examines "The Epic of Algeria," a technical and analytical study by the poet Mufdi Zakaria. It is a historical and artistic analysis that sheds light on an Algerian Arabic poetic system, recounting the history of Algeria from the 2nd century BC to the 1970s. The study focuses on introducing this epic poetry and its author, as well as their literary contributions in both poetry and prose. It also attempts to highlight the artistic value that distinguishes "The Epic," by evoking epic elements such as heroism, Tuaregs, myths, legends, religious and objective elements, and epic symbols. Additionally, the study explores the objective aspect related to the history of Algeria .

Keywords: The Epic, epic poetry, epic elements.